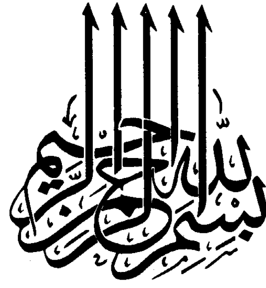
القول النذي

من أمثال النبي صلى الله عليه وسلم

للشيخ
محمد بن صالح العثيمين

جمع وترتيب
صلاح الدين محمود السعيد

الناشر
دار البيان العربي


بسم الله الرحمن الرحيم

القول الندي

من أمثال النبي ﷺ

اسم الكتاب : القول الندي من أمثال النبي ﷺ

اسم المؤلف : الشيخ محمد بن صالح العثيمين

جمع وترتيب : صلاح الدين محمود السعيد

مقاس الكتاب : ١٧ x ٢٤

عدد الصفحات : ١٦٨

عدد الأجزاء : مجلد واحد

رقم الإيداع : ٢٢٦١٠/ ٢٠٠٦



دار البيان العربي

الأزهر / درب الأتراك ت: ٥١١٨٠٩٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.
(آل عمران: ١٠٢)

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أما بعـــد:

فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

وبعـــد:

فى هذا الكتاب «**القول الندى من أمثال النبى**» ﷺ **قمت بجمع أمثال النبى** ﷺ التى قام بجمعها فضيلة الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين ــ رحمه الله ــ جمعت آدابًا وأخلاقًا وعقيدة وعبادات.

سائلاً الله عز وجل أن ينفعنى والمسلمين بهذا العمل.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبه

أبو أنس/ صلاح الدين محمود السعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث الأول:

(مثل ما بعثنى الله به من الهدى)

عن أبى موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَثَلُ ما بَعَثَنى الله به مِنَ الهُدَى والعلمِ، كَمثَل الغَيث الكثيرِ أصابَ أرضاً، فكانَ منها نَقِيَّةٌ قَبِلَت الماءَ فأنْبَتَت الكَلأَ والعُشْبَ الكثيرَ، وكانتْ منها أجادبُ أمْسَكَت الماءَ فنَفَعَ الله بها النّاسَ فشَرِبوا وسَقَوا وزَرَعوا، وأَصَابَتْ منها طائفةً أُخرى، إنّما هى قيعانٌ لا تُمسكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلأً. فذلكَ مَثَلُ مَنْ فَقهَ فى دينِ الله ونَفَعَهُ ما بَعَثَنى الله به فعَلِمَ وعَلَّم، ومَثَلُ مَن لم يَرْفَعْ بذلكَ رأساً ولم يَقْبَلْ هُدَى الله الذى أُرْسِلْت به»(١).

الشـــــرح:

فى هذا المثل الذى ضربه النبى ﷺ: «مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا» الغيث: يعنى المطر، فكانت هذه الأرض ثلاثة أقسام: قسم رياض قبلت الماء وأنبتت العشب الكثير والزرع فانتفع الناس بها، وقسم آخر قيعان: أمسكت الماء وانتفع الناس به فاستقوا منه ورووا منه، والقسم الثالث أرض سبخة: ابتلعت الماء ولم تنبت الكلأ.

فكذا الناس بالنسبة لما بعث الله به النبى ﷺ من العلم والهدى.

القسم الأول: منهم من فقه فى دين الله فعلم وعلَّم وانتفع الناس بعلمه وانتفع هو بعلمه، وهذا كمثل الأرض التى أنبتت العشب والكلأ، فأكل الناس منها وأكلت منها مواشيهم.

والقسم الثانى: فى قوم حملوا الهدى ولكن لم يفقهوا فى هذا الهدى شيئًا، بمعنى أنهم كانوا رواة للعلم والحديث لكن ليس عندهم فقه، فهؤلاء مثلهم مثل الأرض التى حفظت الماء واستقى الناس منه وشربوا منه، لكن الأرض نفسها لم تنبت شيئًا لأن هؤلاء يروون أحاديث وينقلونها ولكن ليس عندهم فيها فقه وفهم.

---

(١) **صحيح:** أخرجه البخارى (٧٩) ومسلم (٢٢٨٢).

والقسم الثالث: من لم يرفع بما جاء به النبى ﷺ من العلم والهدى رأسًا وأعرض عنه ولم يبال به.

فهذا لم ينتفع بما جاء به النبى ﷺ ولم ينفع غيره، فمثله كمثل الأرض التى ابتلعت الماء ولم تنبت شيئًا.

وفى هذا الحديث: دليل على أن من فقه فى دين الله وعلَّم من سنة رسول الله ﷺ ما يعلم فإنه خير الأقسام، لأنه علم وفقه لينتفه، وينفع الناس، ويليه من علم ولكن لن يفقع يعنى روى الحديث وحمله لكن لم يفقه منه شيئًا وإنما هو راوية فقط، هذا يأتى فى المرتبة الثانية فى الفضل بالنسبة لأهل العلم والإيمان.

والقسم الثالث لا خير فيه: رجل أصابه ما أصابه من العلم والهدى الذى جاء به النبى ﷺ ولكن لم يرفع به رأسًا ولم ينتفع به ولم يعلمه الناس، فكان ـــ والعياذ بالله ـــ كمثل الأرض السبخة التى ابتلعت الماء ولم تنبت شيئًا للناس ولم يبق الماء على سطحها حتى ينتفع الناس به.

وفى هذا الحديث: دليل على حسن تعليم الرسول ﷺ وذلك بضرب الأمثال، لأن ضرب الأمثال الحسية يقرب المعانى العقلية، أى ما لا يدرك بالعقل يقر به ما يدرك بالحس، وهذا مشاهد فإن كثيرًا من الناس لا يفهم، فإذا ضربت له مثلاً محسوسًا فهم وانتفع، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٣) وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ ﴾ (الروم: ٥٨).

فضرب الأمثال من أحسن طرق التعليم ووسائله، لهذا ينبغى لك إذا حدثت عاميًا ولم يفهم أن تضرب له مثلاً، اضرب له المثل بشىء يعقله ويعرفه حتى يعرف المعانى المعقولة بواسطة الأشياء المحسوسة.

الحديث الثانـى:

(مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقد نـارًا)

عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَثَلِى وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا. وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا. وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ. وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِى»[١].

الشـــــــرح:

قوله: [مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا] أراد النبى ﷺ بهذا المثل أن يبين حاله مع أمته ﷺ وذكر أن هذه الحال كحال رجل فى برية أوقد نارًا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها.

الجنادب: نوع من الجراد، أما الفراش فمعروف.

يقعن فيها لأن هذه هى عادة الفراش والجنادب والحشرات الصغيرة، إذا أوقد الإنسان نارًا فى البر فإنها تأوى إلى هذا الضوء.

قال: وأنا آخذ بحجزكم يعنى لأمنعكم من الوقوع فيها ولكنكم تفلتون من يدى.

ففى هذا: دليل على حرص النبى ﷺ على حماية أمته من النار، وأنه يأخذ بحجزها ويشدها حتى لا تقع فى هذه النار، ولكننا نفلت من ذلك ونأبى إلا الورود، نسأل الله أن يعاملنا بعفوه.

فالإنسان ينبغى له أن ينقاد لسنة النبى ﷺ وأن يكون لها طوعًا، لأن الرسول ﷺ إنما يدل على الخير واتقاء الشر كالذى يأخذ بحجزة غيره يأخذ بها حتى لا يقع فى النار.

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٢٨).

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٢٨٥).

ومن فوائد الحديث:

أنه ينبغى للإنسان، بل يجب عليه أن يتبع سنة الرسول ﷺ فى كل ما أمر به وفى كل ما نهى عنه، وفى كل ما فعله وفى كل ما تركه يلتزم بذلك، ويعتقد أنه الإمام المتبوع، لكن من المعلوم أن من الشريعة ما هو واجب يأثم الإنسان بتركه، وما هو بمحرم يأثم الإنسان بفعله، ومنها ما هو مستحب إن فعله فهو خير وأجر، وإن تركه فلا إثم عليه.

وكذلك من الشريعة ما هو مكروه كراهة تنزيه إن تركه الإنسان فهو خير له، وإن فعله فلا حرج عليه، لكن المهم أن تلتزم بالسنة عمومًا، وأن تعتقد أن إمامك ومتبوعك هو محمد ﷺ، وأنه ليس هناك سبيل إلى النجاة إلا باتباعه والسير فى طريقه والتمسك بهديه.

ومن فوائد الحديث:

بيان عظم حق النبى ﷺ وأنه كان لا يألو جهدًا فى منعها وصدها عن كل ما يضرها فى دينها ودنياها.

وبناء على ذلك، فإذا رأيت نهى النبى ﷺ عن شىء فاعلم أن فعله شر، ولا تقل: هل هو للكراهة أم هو للتحريم، اترك ما نهى عنه، سواء كان للكراهة أو للتحريم ولا تعرض نفسك للمساءلة، لأن الأصل فى نهى الرسول ﷺ أنه للتحريم إلا إذا قام دليل على أنه للكراهة للتنزيهية.

وكذلك إذا أمر بشىء فلا تقل: هذا واجب أو غير واجب، افعل ما أمر به فهو خير لك، إن كان واجبًا فقد أبرأت ذمتك وحصلت على الأجر.

وإن كان مستحبًّا: فقد حصلت على الأجر وكنت متبعًا تمام الاتباع للرسول ﷺ.

نسأل الله أن يرزقنا وإياكم اتباعه ظاهرًا وباطنًا.

الحديث الثالث:

(مثل صاحب القرآن)

عن ابن عمر رضى الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال:

«إنما مَثَل صاحبِ القرآن كمثل صاحب الإبل المعقَّلة، إن عاهَدَ عليها أمسكها، وإن أطلَقها ذهَبَتْ» (١).

الشـــــرح:

كتاب الله عز وجل إذا مَنَّ الله عليك فحفظته فتعهده، وذلك لأن القرآن الكريم كما شبهه النبى ﷺ كالإبل فى عقلها إذا تعهدها الإنسان أمسكها وإن طلقها ذهبت وضاعت، وقد أقسم على ذلك النبى ﷺ، حيث قال كما فى حديث أبى موسى الأشعرى ﷺ: [تعاهدوا القرآن فوالذى نفسى بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل فى عقلها].

فينبغى لك أن تجعل لك حزبًا معينًا تتعاهده كل يوم ـ مثلاً ـ تقول: كل يوم أقرأ جزءًا مثلاً، فتختم القرآن فى شهر، أو جزئين فتختمه فى خمسة عشر يومًا، أو ثلاثة أجزاء فتختمه فى عشرة أيام إلى تسعة أيام إلى ثلاثة أيام.

تعاهد هذا حتى لا تنساه.

وقد وردت أحاديث فى التحذير من نسينئه لمن أهمله، أما من نسيه بمقتضى الطبيعة فإنه لا يضر، لكن من أهمل وتغافل عنه بعد أن أنعم الله عليه بحفظه فإنه يخشى عليه من العقوبة.

فأنت ـ يا أخى ـ إذا منَّ الله عليك بالقرآن فتعاهده بالقراءة بتلاوته بتكرار التلاوة وكذلك أيضًا بالعمل به، لأن العمل بالشىء يؤدى إلى حفظه وبقائه.

ولهذا قال بعض العلماء: قيد العلم بالعمل به، فإن العمل بالعلم يقتضى بقاءه، لأنه لا يزال على قلبك وعلى جوارحك، فإذ صار هكذا فإنه يبقى ولا ينسى.

أما إذا أُهمل فإنه يضيع، وينبغى لمن قرأ القرآن أن يقرأه بتدبر وتمهل، ولا يحل له أن يشرع السرعة التى توجب إسقاط بعض الحروف، لأنه إذا أسقط بعض الحروف فقد غير كلام الله عن موضعه وحرفه، أما العجلة التى لا تستةجب سقوط الحروف فإنه لا بأس بها.

---

(١) **صحيح:** أخرجه البخارى (٥٠٣١) ومسلم (٧٨٩).

الحديث الرابع:

(مثل الذى يذكر ربه)

عن أبى موسى الأشعرى ﷺ عن النبى ﷺ قال:

«مَثَلَ الذى يَذكرُ ربَّه والذى لا يَذْكرُ ربه مَثَلُ الحى والميِّت»(١).

الشـــــرح:

والمراد بالذكر هنا الإتيان بالألفاظ التى ورد الترغيب فى قولها والإكثار منها، مثل الباقيات الصالحات وهى: «سبحان الله والحمد الله ولا إله إلا الله والله أكبر» وما يلتحق بها من الحوقلة والبسملة والحسبلة والاستغفار، ونحو ذلك، والدعاء بخيرى الدنيا والآخرة، ويطلق ذكر الله أيضًا ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه كتلاوة القرآن، وقراءة الحديث ومدارسة العلم والتنفل بالصلاة، ثم الذكر يقع تارة باللسان ويؤجر عليه الناطق، ولا يشترط استحضاره لمعناه، ولكن يشترط أن لا يقصد به غير معناه، وإن انضاف إلى النطق الذكر بالقلب فهو أكمل، فإن انضاف إلى ذلك استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفى النقائض عنه ازداد كمالاً، فإن وقع ذلك فى عمل صالح مما فرض من صلاة أو جهاد أو غيرهما ازداد كمالاً، فإن صحح التوجه وأخلص لله تعالى فى ذلك فهو أبلغ الكمال.

وقال الفخر الرازى: المراد بذكر اللسان الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد، والذكر بالقلب التفكر فى أدلة الذات والصفات، وفى أدلة التكاليف من الأمر والنهى حتى يطلع على أحكامها، وفى أسرار مخلوقات الله، والذكر بالجوارح هو أن تصير مستغرقة فى الطاعات، ومن ثم سمى الصلاة ذكرًا فقال: ﴿ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (الجمعة: ٩).

وهذا مثل ينبغى للإنسان أن يعتبر به، وأن يعلم أنه كلما غفل عن ذكر الله عز وجل: فإنه يقسو قلبه وربما يموت ــ قلبه ــ والعياذ بالله.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٦٤٠٧) ومسلم (٧٧٩).

الحديث الخامس:

(مثل الصلوات الخمس)

عن أبى سفيان عن جابر ــ وهو ابن عبد الله ــ قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ»[1].

الشـــــــرح:

شبه النبى ﷺ الصلوات بنهر غمر جار.

النهر الغمر: الكثير الماء.

الجارى: معروف، ضد الراكد.

يغتسل منه الإنسان فى اليوم خمس مرات فهل يبقى من وسخه شىء؟.

الجواب: لا يبقى من وسخه شىء، فكذا الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا حتى يبقى الإنسان طاهرًا نقيًا من الخطايا.

ولكن ــ كما أسلفنا فيما مضى ــ أن هذا فى الصلوات التى يتمها الإنسان ويحققها ويحضر قلبه ويشعر أنه يناجى الله سبحانه وتعالى.

فإذا تمت الصلاة على المطلوب حصل هذا الثواب **العظيم**.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٦٦٨) وأحمد (٢/ ٤٢٦) والدارمى (١/ ٢٦٧) وأبو عوانة (٢/ ٢١) وعبد بن حميد (٤/ ١٠) وأبو نعيم فى «الحلية» (٢/ ٣٤٤) وابن حبان (١٧٢٥٥).

الحديث السادس:

(مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن)

عن أبى موسى الأشعرى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«قال رسول الله ﷺ: مَثَلُ المؤمن الذى يقرأ القُرآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّة: رِيحُها طيِّب وطَعمُها طيّب، وَمَثَلُ المؤمن الذى لا يقرأ القرآنَ كمثل التمرة: لا رِيحَ لها وطَعمُها حُلو، ومَثلُ المنافق الذى يَقرأ القرآن كَمَثَلِ الرَّيحانة: رِيحها طيّب وطعمها مُرّ، ومثل المنافقِ الذى لا يقرأُ القرآن كمثلِ الحَنْظَلَة: ليس لها رِيح وطَعمها مُرّ» [١].

الشــــــرح:

هذا الحديث فى بيان أحوال الناس بالنسبة للقرآن.

النبى ﷺ ضرب أمثلة للمؤمن والمنافق، المؤمن إما أن يكون قارئًا للقرآن أو غير قارئ.

فإن كان قارئًا له فمثله كمثل الأترجة ــ يعنى الثمرة ــ ريحها طيب وطعمها طيب، فهذا المؤمن الذى يقرأ القرآن لأن نفسه طيبة وقلبه طيب وفيه خير لغيره، الجلسة معه خير وكما قال النبى ﷺ: [مثل الجليس الصالح كمثل حامل المسك إما أن يبيعه أو تجد منه رائحة طيبة] [٢].

فالمؤمن الذى يقرأ القرآن كله خير فى ذاته وفى غيره، فهو كالأترجة لها رائحة طيبة ذكية وطعمها طيب.

أما المؤمن الذى لا يقرأ القرآن فهو كمثل التمرة طعمها حلو ولكن ليس لها رائحة ذكية كرائحة الأترجة، ونفى النبى ﷺ ريحها لأنه ليس بريح طيب وإن كان كل شىء له رائحة ولكن ليست رائحتها ذكية، لكنها حلوة طيبة، هذا المؤمن الذى لا يقرأ القرآن.

إذًا فالمؤمن القارئ للقرآن أفضل بكثير من الذى لا يقرأ القرآن.

ومعنى لا يقرأه يعنى: لا يعرفه ولم يتعلمه.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٥٤٢٧) ومسلم (٧٩٧).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٥٥٣٤) ومسلم (٢٩٢٨) وأبو داود (٤٨٢٩) وأحمد (٤/ ٤٠٤).

ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة لها رائحة طيبة لكن طعمها مر، لأن المنافق فى ذاته خبيث لا خير فيه والمنافق هو الذى يظهر أنه مسلم ولكن قلبه كافر ــ والعياذ بالله ــ هو الذى قال الله فيه ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ (البقرة: ٨ - ١٠).

يوجد منافقون يقرءون القرآن قراءة طيبة مرتلة مجودة لكنهم منافقون ــ والعياذ بالله ــ كما قال النبى ﷺ فى الخوارج: [يقرءون القرآن لا يتجاوز حناجرهم][(١)].

هؤلاء ــ والعياذ بالله ــ ضرب لهم النبى ﷺ مثلاً بالريحانة ريحها طيب، وذلك لما معهم من القرآن، وطعمها مر، وذلك لخبث طويتهم وفساد نيتهم.

المنافق الذى لا يقرأ القرآن، ضرب النبى ﷺ له مثلاً بالحنظلة طعمها مر وليس لها ريح، هذا المنافق الذى لا يقرأ القرآن لا خير فيه، طعمه مر وليس معه قرآن ينتفع الناس به، هذه أقسام الناس بالنسبة لكتاب الله عز وجل.

فاحرص أخى المسلم على أن تكون من المؤمنين الذين يقرءون القرآن ويتلونه حق تلاوته حتى تكون كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها حلو.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخارى (٣٤٣٤) ومسلم (١٠٦٤) وأبو داود (٤٧٦٤).

الحديث السابع:

(العائد فى هبته كالكلب يرجع فى قيئته)

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:
«العائدُ فى هِبَتِه كالكلبِ يَقىءُ ثمَّ يَعودُ فى قَيئِه»(١).

وفى رواية: [مثل الذى يرجع فى صدقته كمثل الكلب يقىء ثم يعود فى قيئته فيأكل].

وفى رواية: [العائد فى هبته كالعائد فى قيئته].

الشـــــرح:

هذا الحديث فيه ما يدل على تحريم الرجوع فى الهبة.

يعنى أنك إذا أعطيت إنسانًا شيئًا مجانًا تبرعًا من عندك فإنه لا يحل لك أن ترجع فيه، سواء كان قليلاً أم كثيرًا، لأن النبى ﷺ شبه العائد فى هبته بالكلب، الكلب يقىء ما فى بطنه، ثم يعود فيأكله.

وهذا تشبيه قبيح، شبه النبى ﷺ العائد فى هبته بهذا تقبيحًا له وتنفيرًا منه.

ولا فرق بين أن يكون الذى وهبته من أقاربك، أو من الأباعد عنك، فلو وهبت لأخيك شيئًا: ساعة أو قلمًا أو سيارة أو بيتًا، فإنه لا يحل لك أن ترجع إلا أن ترضى لنفسك أن تكون كلبًا، ولا أحد يرضى لنفسه أن يكون كلبًا.

وكذلك الابن لو وهب لأبيه شيئًا فإنه لا يرجع فيه.

كرجل غنى له أب فقير فوهبه بيتًا فإنه لا يجوز له أن يرجع فى الهبة، ولو كان أباه، أما العكس لو أن الرجل وهب ابنه شيئًا فلا بأس أن يرجع فيه، لقول النبى ﷺ: [لا يحل لواهب أن يرجع فيما وهب إلا الوالد فيما يعطى ولده](٢).

لأن الوالد له الحق أن يأخذ من مال ولده لم يهبه له ما لم يضره.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٢٦٢١، ٢٦٢٢) ومسلم (١٦٢٢) وأبو داود (٢/ ١٠٩) وابن ماجه (٢٣٨٤) وأحمد (٢/ ٢٥٩).

(٢) صحيح: صححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٦٥٥).

الحديث الثامن:

(مثل القائم فى حدود الله)

عن النعمان بن بشير ﷺ عن النبى ﷺ قال:

«مَثَلُ القائمِ على حُدودِ اللهِ والواقعِ فيها كمَثَلِ قومٍ استَهَموا على سَفِينةٍ فأصابَ بعضُهم أعلاها وبعضُهم أسفلَها، فكان الذين فى أسفلها إذا استَقوا مِنَ الماءِ مَرّوا على مَن فَوقَهُم، فقالوا: لو أنّا خَرَقْنا فى نَصيبنا خَرقاً ولم نُؤْذِ مَن فَوقَنا، فإن يَترُكوهم وما أرادوا هَلَكوا جميعاً، وإن أخَذوا على أيديهم نَجَوا ونجوا جميعًا»[1].

الشـــــرح:

قوله: [مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها] القائم فيها يعنى الذى استقام على دين الله فقام بالواجب وترك المحرم، والواقع فيها أى: فى حدود الله، أى: الفاعل للمحرم أو التارك للواجب.

[كمثل قوم استهموا على سفينة] يعنى ضربوا سهمًا وهو ما يسمى بالقرعة، أيهم يكون الأعلى؟.

[فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا الماء] يعنى إذا طلبوا الماء ليشربوا منه.

[مروا على من فوقهم] يعنى الذين فى أعلاها، لأن الماء لا يقدر عليه إلا من فوق.

[فقالوا: لو أنًّا خرقنا فى نصيبنا] يعنى لو نخرق خرقًا فى مكاننا نستقى منه حتى لا نؤذى من فوقنا... هكذا قدروا وأرادوا.

قال النبى ﷺ: [فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا] لأنهم إذا خرقوا خرقًا فى أسفل السفينة دخل الماء ثم أغرق السفينة.

[وإن أخذوا على أيديهم] ومنعوهم من ذلك [نجوا ونجوا جميعًا] يعنى نجا هؤلاء وهؤلاء.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٢٤٩٣) والترمذى (٢/ ٢٦) وأحمد (٤/ ٢٦٨) والبيهقى (١٠/ ٢٨٨) وابن حبان (١/ ٢٥٨) والبغوى فى «شرح السنة» (١٤/ ٣٣٤٣).

وهذا المثل الذى ضربه النبى ﷺ هو من الأمثال التى لها مغزى عظيم ومعنى عال، فالناس فى دين الله كالذين فى سفينة فى لجة النهر، فهم تتقاذفهم الأمواج ولا بد أن يكون بعضهم إذا كانوا كثيرين فى الأسفل وبعضهم فى الأعلى حتى تتوازن حمولة السفينة وحتى لا يضيق بعضهم على بعض، وفيه أن هذه السفينة المشتركة بين هؤلاء القوم إذا أراد أحد منهم أن يخربها فإنه لا بد أن يمسكوا على يديه وأن يأخذوا على يديه لينجوا جميعًا، فإن لم يفعلوا هلكوا جميعًا، هكذا دين الله.

إذا أخذ العقلاء وأهل العلم والدين على الجهال والسفهاء نجوا جميعًا، وإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ (الأنفال: ٢٥) وفى هذا المثل: دليل على أنه ينبغى لمعلم الناس أن يضرب لهم الأمثال ليقرب لهم المعقول بصورة المحسوس، قال الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٣).

وكم من إنسان تشرح له المعنى شرحًا كثيرًا وترده عليه فلا يفهم، فإذا ضربت له مثلاً بشيء محسوس يعرفه فهم.

وانظر إلى المثل العجيب الذى ضربه النبى ﷺ لرجل من الأعراب صاحب بادية إبل جاء إلى النبى ﷺ يقول: يا رسول الله إن زوجتى ولدت غلامًا أسود ــ يعنى وأنا أبيض والمرأة بيضاء ــ فمن أين جاءنا هذا الأسود؟ فقال النبى ﷺ: [هل لك من إبل؟] قال: نعم، قال: [ما ألوانها؟] قال: حمر، قال: [هل فيها من أورق؟] يعنى أسود ببياض، قال: نعم، قال: [من أين جاءك ذلك].

قال: لعله نزعه عرق ــ يعنى ربما يكون له أجداد أو جدات سابقة لونها هكذا ــ فنزعه هذا العرق، قال: [فابنك هذا لعله نزعه عرق][١].

يمكن واحد من أجداده أو جداته أو أخواله أو آبائه لونه أسود فجاء الولد عليه، فاقتنع الأعرابى تمام الاقتناع، لو جاءه النبى ﷺ يشرح له شرحًا فهو أعرابى لا يعرف، لكن أتاه بمثال من حياته التى يعيشها، فانطلق وهو مقتنع.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٥٣٠٥) ومسلم (١٥٠٠) وأبو داود (٢٢٦٠) والترمذى (٢١٢٨) والنسائى (٦/ ١٧٨) وأحمد (٢/ ٢٣٣).

وهكذا ينبغى لطالب العلم بل ينبغى للمعلم أن يقرب المعانى المعقولة لأذهان الناس بضرب الأمثال المحسوسة، كما فعل النبى ﷺ.

وفى هذا الحديث: إثبات القرعة وأنها جائزة، وقد وردت الآيات والأحاديث بالقرعة فى موضعين من كتاب الله، وفى ستة مواضع من سنة رسول الله ﷺ، أما الموضعان من كتاب الله، وكلكم يقرأها والحمد لله: الموضع الأول فى سورة آل عمران: ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٤٤).

الموضع الثانى: فى سورة الصافات: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾.

(الصافات: ١٣٩ - ١٤٤)

يونس أحد الأنبياء، ركب مع قوم فى سفينة فضاقت بهم وقالوا: إن بقينا كلنا على ظهرها هلكنا وغرقت، لا بد أن ننزل بعضنا فى البحر، فمن ننزل؟ أول راكب أم أكبر راكب أم أكبر بدنًا؟ فعملوا قرعة، فصارت القرعة على جماعة منهم يونس عليه السلام، لأن الآية تقول: ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴾.

إذن معه ناس أنزلوهم والذين معه الله أعلم بهم لا نعرف ماذا صار لهم، أما هو فالتقمه حوت عظيم، أى: ابتلعه بلعًا دون أن يعلكه، فصار فى بطن الحوت ﴿ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٧) .

فلفظه الحوت على سيف البحر وأنبت الله عليه شجرة من يقطين.

قرع النجد لين وأوراقه لينة كالإبريسم، ومن خصائصه أنه لا يقع عليه الذباب، فانبت الله عليه شجرة من يقطين حتى ترعرع بعد أن بقى فى بطن الحوت ثم أنجاه الله عز وجل.

المهم أن القرعة من الأمورالمشروعة الثابتة بالكتاب والسنة وقد ذكر ابن رجب ــ رحمه الله ــ فى كتابه (القواعد الفقهية) ذكر قاعدة فى الأشياء التى تستعمل فيها القرعة من أول الفقه إلى آخره.

الحديث التاسع:

(ليتمن الله هذا الأمر ولكنكم تستعجلون)

عن أبى عبد الله خباب بن الأرت ﷺ قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بُردة له فى ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال:

كان الرَّجلُ فيمن قبلَكمْ يُحفَرُ له فى الأرضِ فيُجعَلُ فيه، فيُجاء بالميشارِ فيوضعُ على رأسهِ فيُشَقُّ باثنتَين، وما يَصُدُّهُ ذلك عن دينه، ويُمشَطُ بأمشاطِ الحديدِ ما دُونَ لحمهِ من عظمٍ أو عَصَب، وما يَصدُّهُ ذلكَ عن دينه، والله لَيتمَّنَّ هذا الأمرَ حتى يَسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حَضْرَمَوتَ لا يخافُ إلاّ اللهَ، أو الذِّئبَ على غَنمه، ولكنَّكم تَستَعجلون».

وفى رواية: [وهو متوسد بردة وقد لقينا من المشركين شدة][(١)].

الشـــــــرح:

حديث أبى عبد الله خباب بن الأرت ﷺ يحكى ما وجده المسلمون من الأذية من كفار قريش فى مكة، فجاءوا يشكون إلى النبى ﷺ وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة، فبيَّن النبى ﷺ أن من كان قبلنا ابتلى فى دينه أعظم مما ابتلى به هؤلاء، يحفر له حفرة ثم يلقى فيها ثم يؤتى بالمنشار على مفرق رأسه ويُشق، وأيضًا يمشط بأمشاط الحديد ما بين جلده وعظمه وهذا تعزير عظيم وأذية عظيمة.

ثم أقسم ﷺ أن الله سبحانه سيُتم هذا الأمر، يعنى سيتم ما جاء به الرسول ﷺ من دعوة الإسلام [حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه لكنكم تستعجلون].

أى فاصبروا وانتظروا الفرج من الله، فإن الله سيتم هذا الأمر وقد صار الأمر كما أقسم عليه ﷺ.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٣٨٥٢) ومسلم (٦٩٤٣).

ففى هذا الحديث:

آية من آيات الله، حيث وقع الأمر مطابقًا لما أخبر به النبى ﷺ، وآية من آيات النبى ﷺ حيث صدقه، الله بما أخبر به، وهذه شهادة له من الله بالرسالة كما قـال الله: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾. (النساء: ١٦٦)

وفيه أيضًا:

دليل على وجوب الصبر على أذية المسلمين وإذا صبر الإنسان ظفر!! فالواجب على الإنسان أن يقابل ما يحصل من أذية الكفار بالصبر والاحتساب وانتظار الفرج ولا يظن الأمر ينتهى بسرعة وينتهى بسهولة.

قد يبتلى الله عز وجل المؤمنين بالكفار يؤذونهم، وربما يقتلونهم كما قتلوا الأنبياء، اليهود من بنى إسرائيل قتلوا الأنبياء الذين هم أعظم من الدعاة وأعظم من المسلمين، فليصبروا ولينتظروا الفرج، ولا يمل ولا يضجر بل يبقى راسيًا كالصخرة، والعاقبة للمتقين والله تعالى مع الصابرين.

فإذا صبر وثابر وسلك الطرق توصل إلى المقصود ولكن بدون فوضى وبدون استنفار وبدون إثارة بطريق منظمة، لأن أعداء المسلمين من المنافقين والكفار يمشون على خطًا ثابتة منظمة ويحصلون مقصودهم.

أما السطحيون الذين تأخذهم العواطف حتى يثوروا ويستفزوا فإنه قد يفوتهم شىء كثير وربما حصل منهم زلة تفسد كل ما بنوا، وإن كانوا قد بنوا شيئًا، لكن المؤمن يصر ويتئد ويعمل بتؤدة ويوطن نفسه ويخطط تخطيطًا منظمًا يقضى به على أعداء الله من المنافقين والكفار، ويفوت عليهم الفرص لأنهم يتربصون الدوائر بأهل الخير، يريدون أن يثيروهم حتى إن حصل من بعضهم ما يحصل حينئذ استعلوا عليهم وقالوا: هذا الذى نريد وحصل بذلك شر كبير.

فالرسول ﷺ قال لأصحابه: اصبروا، فالمؤمن فيمن قبلكم ـــ وأنتم أحق بالصبر منه ـــ كان يُعمل به هذا العمل ويصبر، فأنتم يا أمة محمد أمة الصبر والإحسان، فاصبروا حتى يأتى الله بأمره والعاقبة للمتقين.

فأنت أيها الإنسان لا تسكت عن الشر ولكن اعمل بنظام وبتخطيط وبحسن تصرف، وانتظر الفرج من الله ولا تمل، فالدرب طويل، لا سيما إذا كنت فى أول الفتنة، فإن القائمين بها سوف يحاولون ـ ما استطاعوا ـ أن يصلوا إلى قمة ما يريدون فاقطع عليهم السبيل وكن أطول منهم نفسًا وأشد منهم مكرًا، فإن هؤلاء الأعداء يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

الحديث العاشر:

(الجنة تحت ظلال السيوف)

عن أبى إبراهيم عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ فى بعض أيامه التى لقى فيها العدو انتظر حتى إذا مالت الشمس قام فيهن فقال:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَاسْأَلُوا اللّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ».

ثُمَّ قَامَ النَّبِى وَقَالَ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِى السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ»[1].

الشـــــرح:

قوله: [لا تتمنوا لقاء العدو] أى: لا ينبغى للإنسان أن يتمنى لقاء العدو ويقول: اللهم ألقنى عدوى [واسألوا الله العافية] قل: اللهم عافنى.

[فإذا لقيتموهم] وابتليتم بذلك **[فاصبروا]** هذا هو الشاهد من الحديث، أى: اصبروا على مقاتلتهم واستعينوا بالله، عز وجل، وقاتلوا لتكون كلمة الله هى العليا.

[واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف] نسأل الله من فضله، فالجنة تحت ظلال السيوف التى يحملها المجاهد فى سبيل الله وإن المجاهد فى سبيل الله إذا قُتل صار من أهل الجنة.

كما فى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٦٩ - ١٧١).

والشهيد إذا قُتل فى سبيل الله فإنه لا يحس بالطعنة أو بالضربة، كأنها ليست بشىء ما يحس إلا أن روحه تخرج من الدنيا إلى نعيم دائم أبدًا.

---

(١) **صحيح:** أخرجه البخارى (٢٩٦٥) ومسلم (١٧٤٢).

ولهذا قال الرسول ﷺ [واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف].

وكان من الصحابة رضى الله عنهم أنس بن النضر قال: «إنى لأجد ريح الجنة دون أُحد» انظر كيف فتح الله مشامه حتى شم ريح الجنة دون أُحد، فقُتل شهيدًا ﷺ، ولهذا قال ﷺ: [واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف].

ثم قال ﷺ: [اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم].

وهذا دعاء ينبغى للمجاهد أن يدعو به إذا لقى العدو، فهنا توسل الرسول ﷺ بالآيات الشرعية والآيات الكونية، توسل بإنزال الكتاب ــ وهو القرآن الكريم ــ أو يشمل كل كتاب ويكون المراد به الجنس، أى: منزل الكتاب على محمد وعلى غيره.

ولو اجتمعت الأمم كلها بآلاتها ومعداتها على أن تجرى هذا السحاب أو أن تصرف وجهه ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، وإنما يجريه من إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون.

﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ ﴾.

(الأحزاب: ٢٥)

فالله عز وجل هو هازم الأحزاب، ليست قوة الإنسان التى تهزم، بل القوة سبب قد تنفع وقد لا تنفع، ونحن مأمورون بفعل السبب المباح، لكن الهازم حقيقة هو الله، عز وجل.

ففى هذا الحديث عدة فوائد:

منها: أن لا يتمنى الإنسان لقاء العدو، وهذا غير تمنى الشهادة.

تمنى الشهادة جائز ولا منهى عنه، بل قد يكون مأمورًا به، أما تمنى لقاء العدو فلا تتمنه لأنه نهى عن ذلك.

ومنها: أن يسأل الإنسان الله العافية، لأن العافية والسلامة لا يعدلها شىء فلا تتمن الحروب ولا المقاتلة واسأل الله العافية والنصر لدينه ولكن إذا لقيت العدو فاصبر.

ومنها: أن الإنسان إذا لقى العدو فإن الواجب عليه أن يصبر.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٤٥، ٤٦).

ومنها: أنه ينبغي لأمير الجيش أو السرية أن يرفق بهم وأن لا يبدأ القتال إلا فى الوقت المناسب، سواء كان مناسبًا من الناحية اليومية أو من الناحية الفصلية، فمثلاً فى أيام الصيف لا ينبغي أن يتحرى القتال فيه لأن فيه مشقة، وفى أيام البرد الشديدة لا يتحرى ذلك أيضًا لأن فى ذلك مشقة، لكن إذا أمكن أن يكون بين بين بأن يكون فى الخريف فهذا أحسن ما يكون.

ومنها: أنه ينبغي للإنسان أن يدعو بهذا الدعاء: (اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم).

ومنها: الدعاء على الأعداء بالهزيمة لأنهم أعداؤك وأعداء الله، فإن الكافر ليس عدوًّا لك وحدك، بل هو عدو لك ولربك ولأنبيائه ولملائكته، ولرسله، ولكل مؤمن.

الحديث الحادى عشر:

(كل الناس بغدو)

عن أبى مالك الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ:

«الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، قال عفان: ـ وسبحان الله والله أكبر ولا إله إلا الله والله أكبر تملأ ما بين السماء، قال عفان: وسبحان الله والله أكبر ولا إله إلا الله، وقال عفان: ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة عليك أو لك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها أو معتقها»(١).

الشـــــرح:

(الطهور): يعنى بذلك طهارة الإنسان.

(شطر الإيمان) نصف الإيمان وذلك لأن الإيمان تخلية وتحلية: يعنى: تبروًا من الشرك والفسوق، وتبروًا من المشركين والفساق بحسب ما معهم من الفسق فهو تخلٍ.

وهذا هو الطهور أن يتطهر الإنسان طهارة حسية ومعنوية من كل ما فيه أذى، فلهذا جعله الرسول ﷺ شطر الإيمان.

قوله: (والحمد لله تملأ الميزان) ذكر ابن علان ما مختصره: أى هذه الجملة بخصوصها، لأنها أفضل صيغ الحمد ولذا بدأ بها الكتاب العزيز.

(والحمد لله) هو الثناء على الله بالجميل الاختيارى والإذعان له والرضا بقضائه.

(الميزان) المراد منه حقيقته: أى ما توزن به الأعمال، إما بأن تُجسم الأعمال أو توزن صحائفها فتطيش بالسيئة وتثقل بالحسنة.

وهذه الكلمة كان لها الثواب العظيم، بحيث تملأ كفة الميزان مع سعتها، لأن معانى الباقيات الصالحات فى ضمنها، لأن الثناء تارة يكون بإثبات الكمال، وتارة بنفى

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٢٣) والترمذى (٣٥١٧) وابن ماجه (٢٨٠) وأبو عوانة (١/ ٢٢٣) وأحمد (٥/ ٣٤٢) والدارمى (١/ ١٦٧) وابن أبى شيبة (١/ ٦) والطبرانى (٣٤٢٣) والبيهقى (١/ ٤٢) والبغوى فى شرح السنة (١/ ٣١٩).

النقص، وتارة بالاعتراف بالعجز وتارة بالتفرد بأعلى المراتب، والألف واللام فى الحمد لاستغراق جنس المدح.

والحمد مما علمناه وجهلناه وإنما يستحق الإلهية من اتصف بذلك فاندرج الجميع تحت (الحمد لله).

وقوله: (وسبحانه الله والحمد لله تملآن ــ أو قال: تملأ ــ ما بين السموات والأرض) شك من الراوى والمعنى لا يختلف، أى: أن (سبحان الله والحمد لله) تملأ ما بين السموات والأرض وذلك لأن هاتين الكلمتين مشتملتان على تنزيه الله من كل نقص فى قوله: (سبحان الله) وعلى وصف الله بكل كمال فى قوله: (والحمد الله) فقد جمعت هاتان الكلمتان بين التخلية والتحلية كما يقولون.

فالتسبيح: تنزيه الله عما لا يليق به فى أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه، فالله منزه عن كل عيب فى أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه، لا تجد فى أسمائه اسمًا يشتمل على نقص أو على عيب، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (الأعراف: ١٨٠).

ولا تجد فى صفاته صفة تشتمل على عيب أو نقص، ولهذا قال الله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ بعد قوله: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ .
(النحل: ٦٠)

فالله عز وجل له الوصف الأكمل الأعلى من جميع الوجوه وله الكمال المنزه عن كل عيب فى أفعاله كما قال الله: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴾ .
(الدخان: ٣٨)

فليس فى خلق الله لعب ولهو وإنما هو خلق مبنى على الحكمة.

كذلك أحكامه لا تجد فيها عيبًا لا نقصًا كما قال الله: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴾.
(التين: ٨)

وقال عــز وجل: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة: ٥٠).

والله عز وجل يُحمد على كل حال، وكان الرسول ﷺ إذا أصابه ما يسر به قال: [الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات] وإذا أصابه سوى ذلك قال: [الحمد لله على كل حال].

ثم إن ههنا كلمة شاعت أخيرًا عند كثير من الناس وهى قولهم: (الحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه) هذا حمد ناقص، لأن قولك: (على مكروه سواه) تعبير يدل على قلة الصبر، أو على الأقل على عدم كمال الصبر وأنك كاره لهذا الشىء، ولا ينبغى للإنسان أن يعبر هذا التعبير، بل ينبغى له أن يعبر بما كان الرسول ﷺ، يعبر به فيقول: (الحمد لله على كل حال) أو يقول: الحمد لله الذى لا يحمد على كل حال سواه.

أما التعبير الأول: فإنه تعبير واضح على مضادة ما أصابه من الله عز وجل وأنه كاره له، وأنا لا أقول إن الإنسان لا يكره مما أصابه من البلاء بطبيعة الإنسان أن يكره ذلك، لكن لا تعلن هذا بلسانك فى مقام الثناء على الله، بل عبر كما عبر النبى ﷺ.

قوله ﷺ: (والصلاة نور) فالصلاة: نور للعبد فى قلبه وفى وجهه وفى قبره وفى حشره ولهذا تجد أكثر الناس نورًا فى الوجوه أكثرهم صلاة وأخشعهم فيها لله عز وجل.

وكذلك تكون نورًا للإنسان فى قلبه تفتح عليه باب المعرفة لله عز وجل، وباب المعرفة فى أحكام الله وأفعاله وأسمائه وصفاته، وهى نور فى قبر الإنسان لأن الصلاة عمود الإسلام إذا قام العمود قام البناء وإذا لم يقم العمود فلا بناء.

كذلك نور فى حشره يوم القيامة كما أخبر بذلك الرسول ﷺ أن [من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورًا ولا برهانًا ولا نجاة يوم القيامة، وحشر مع فرعون وهامان وقارون وأُبَىِّ بن خلف](١) فهى نور للإنسان فى جميع أحواله وهذا يقتضى أن يحافظ الإنسان عليها وأن يحرص عليها وأن يكثر منها حتى يكثر نوره وعلمه وإيمانه.

وأما الصبر فقال: [والصبر ضياء] أى: فيه نور لكن نور مع حرارة كما قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ (يونس: ٥).

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط (٢/ ٤٥٦) وأحمد (٢/ ١٦٩) والدارمى (٢/ ٣٠١).

فالضوء لا بد فيه من حرارة وهكذا الصبر لا بد فيه من حرارة وتعب لأن فيه مشقة كبيرة ولهذا كان أجره بغير حساب، فالفرق بين النور فى الصلاة والضياء فى الصبر أن الضياء فى الصبر مصحوب بحرارة لما فى ذلك من التعب القلبى والبدنى فى بعض الأحيان.

وقوله: (الصدقة برهان) الصدقة: بدل المال تقربًا لله، عز وجل، للأهل والفقراء والمصالح العامة، مثل بناء المساجد وغيرها هذا برهان على إيمان العبد وذلك لأن المال محبوب إلى النفوس والنفوس شحيحة به، فإذا بذله الإنسان لله فإن للإنسان لا يبذل ما يحب إلا لما هو أحب إليه منه، ولهذا تجد أكثر الناس إيمانًا بالله عز وجل وبالإخلاف تجدهم أكثرهم صدقة.

ثم قال الرسول ﷺ: [والقرآن حجة لك أو عليك] لأن القرآن حبل الله المتين وهو حجة الله على خلقه، فإما أن يكون لك وذلك فيما إذا توصلت به إلى الله وقمت بواجب هذا القرآن العظيم من التصديق بالأخبار وامتثال الأوامر واجتناب النواهى وتعظيم هذا القرآن الكريم واحترامه ففى هذه الحال يكون حجة لك.

أما إذا كان الأمر بالعكس أهنت القرآن وهجرته لفظًا ومعنًى وعملاً ولم تقم بواجبه فإنه يكون عليك شاهدًا يوم القيامة، ولم يذكر الرسول ﷺ مرتبة بين هاتين المرتبتين، يعنى لم يذكر أن القرآن لا لك ولا عليك، لأنه لا بد أن يكون إما لك وإما عليك على كل حال.

فنسأل الله أن يجعله لنا ولكم حجة نهتدى به فى الدنيا والآخرة، إنه جواد كريم.

قوله: [كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها].

أى كل الناس يبدأ يومه من الغدوة بالعمل، وهذا شىء مشاهد فإن الله تعالى جعل الليل سكنًا وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ ﴾ (الأنعام: ٦٠)

فهذا النوم الذى يكون فى الليل هو وفاة صغرى تهدأ فيه الأعصاب ويستريح فيه البدن ويستجد نشاطه للعمل المقبل ويستريح من العمل الماضى، فإذا كان الصباح وهو

الغدوة سار الناس واتجهوا كلٌ لعمله، فمنهم من يتجه إلى الخير وهم المسلمون، ومنهم من يتجه إلى الشر، وهم الكفار ــ والعياذ بالله ــ فالمسلم أول ما يغدو يتوضأ ويتطهر.

(والطهور شطر الإيمان) كما فى الحديث، ثم يذهب فيصلى فيبدأ يومه بعبادة الله عز وجل، بل يفتتحه بالتوحيد، لأنه يشرع للإنسان إذا استيقظ من نومه أن يذكر الله عز وجل وأن يقرأ عشر آيات من سورة آل عمران وهى من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

(آل عمران: ١٩٠ - ٢٠٠)

هذا المسلم هذا الذى يغدو فى الحقيقة بائع نفسه، لكن هل باعها بيعًا يعتقها فيه؟! نعم، المسلم باعها بيعًا يعتقها فيه، ولهذا قال ﷺ: [فبائع نفسه فمعتقها] هذا قسم.

[أو موبقها] أى: بائع نفسه فموبقها، الكافر يغدو إلى العمل الذى فيه الهلاك، لأن معنى [أو موبقها] أى: أهلكها وذلك أن الكافر يبدأ يومه بمعصية الله، حتى لو بدأ الأكل والشرب فإن أكله وشربه يعاقب عليه يوم القيامة، كل لقمة يرفعها الكافر إلى فمه فإنه

يعاقب عليه، والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾

﴿ خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (الأعراف: ٣٢).

يعنى: ليس عليهم من شوائبها يوم القيامة.

فمفهوم الآية الكريمة أنها لغير المؤمن حرام، وأنها ليست خالصة لهم يوم القيامة وأنهم سيعاقبون عليها.

وقال الله فى سورة المائدة ــ وهى آخر ما نزل ــ والآية التى سقتها الآن فى سورة الأعراف، وهى مكية، قال تعالى فى المائدة: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ ﴾ (المائدة: ٩٣).

فمفهوم الآية الكريمة أن على غير المؤمنين جناح فيما طعموه فالكافر من حين ما يصبح ــ والعياذ بالله ــ وهو بائع نفسه فيما يهلكها.

أما المؤمن فباع نفسه فيما يعتقها وينجيها من النار.

نسأل الله أن يجعلها وإياكم منها.

فى آخر هذا الحديث بيَّن الرسول ﷺ أن الناس ينقسمون إلى قسمين: قسم يكون القرآن حجة لهم، كما قال: [والقرآن حجة لك] وقسم يكون القرآن حجة عليهم، كما قال: [أو عليك].

وقسم: يعتقون أنفسهم بأعمال الصالحة.

وقسم: يهلكونها بأعمالهم السيئة.

الحديث الثانى عشر:

(لن يملأ فا ابن آدم إلا التراب)

عن صالح عن ابن شهاب، قال: أخبرنى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال:

«لو أنَّ لابن آدمَ وادياً من ذهبٍ أحبَّ أن يكون له واديانِ، ولن يملأَ فاه إلا التراب، ويتوبُ الله على مَن تاب»[1].

الشـــــرح:

معناه: أن ابن آدم لن يشبع من المال، ولو كان له واد واحد (لا بتغى) أى طلب أن يكون له واديان ولا يملأ جوفه إلا التراب، وذلك إذا مات ودفن وترك الدنيا وما فيها حينئذ يقتنع لأنها فاتته، ولكن مع ذلك حث الرسول ﷺ على التوبة لأن الغالب أن الذى يكون عنده طمع فى المال أنه لا يحترز من الأشياء المحرمة من الكسب المحرم.

ولكن دواء ذلك بالتوبة إلى الله. ولذلك قال ﷺ: [ويتوب الله على من تاب].

فمن تاب من سيئاته ولو كانت هذه السيئات مما يتعلق بالمال فإن الله يتوب عليه.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٦٤٣٧) ومسلم (١٠٤٨) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

الحديث الثالث عشر:

(الجنة أقرب من شراك النعل)

عن ابن مسعود ﷺ قال: قال النبى ﷺ:

«الجنة أقربُ إلى أحدكم من شِراكِ نعلهِ، والنارُ مثلُ ذلك»[1].

الشـــــرح:

قوله: **(الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك).**

هذا الحديث يتضمن ترغيبًا وترهيبًا، يتضمن ترغيبًا فى الجملة الأولى وهو قوله ﷺ: (الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله).

وشراك النعل: هو السير الذى على ظهر القدم، وهو قريب من الإنسان جدًا، ويضرب به المثل فى القرب، وذلك لأنه قد تكون الكلمة الواحدة سببًا فى دخول الجنة، فقد يتكلم الإنسان بالكلمة الواحدة من رضوان الله، عز وجل، لا يظن أنها تبلغ ما بلغت، فإذا هى توصله إلى جنة النعيم.

ومع ذلك فإن الحديث أعم من هذا، فإن كثرة الطاعات واجتناب المحرمات من أسباب دخول الجنة، وهو يسير على من يسره الله عليه، فأنت تجد المؤمن الذى شرح الله صدره للإسلام يصلى براحة وطمأنينة وانشراح صدر ومحبة للصلاة، ويزكى كذلك ويصوم كذلك ويحج كذلك، ويفعل الخير كذلك، فهو يسير عليه سهل قريب منه، وتجده يتجنب ما حرمه الله عليه من الأقوال والأفعال، وهو يسيرٌ عليه.

وأما ـــ والعياذ بالله ـــ من قد ضاق بالإسلام ذرعًا وصار الإسلام ثقيلاً عليه فإنه يستثقل الطاعات ويستثقل اجتناب المحرمات ولا تصير الجنة أقرب إليه من شراك نعله وكذلك النار، وهى الجملة الثانية فى الحديث وهى التى فيها التحذير.

يقول النبى ﷺ: [والنار مثل ذلك] أى أقرب إلى أحدنا من شراك نعله، فإن الإنسان ربما يتكلم بالكلمة لا يلقى لها بالاً وهى من سخط الله فيهوى بها فى النار كذا وكذا من

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٦٤٨٨) وأحمد (١/ ٤٤٢).

السنين وهو لا يدرى، وما أكثر الكلمات التى يتكلم بها الإنسان غير مبالٍ بها وغير مهتم بمدلولها فترديه فى نار جنهم، نسأل الله العافية.

ألم تروا إلى قصة المنافقين الذين كانوا مع النبى ﷺ فى غزوة تبوك حيث كانوا يتحدثون فيما بينهم يقولون: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنًا ولا أجبن عند اللقاء ــ يعنون بذلك النبى ﷺ وأصحابه ــ يعنى أنهم واسعة البطون من كثرة الأكل وليس لهم همّ إلا الأكل، ولا أكذب ألسنًا، يعنى أنهم يتكلمون بالكذب، ولا أجبن عند اللقاء، أى أنهم يخافون لقاء العدو ولا يثبتون بل يفرون ويهربون.

هكذا يقول المنافقون فى الرسول ﷺ وأصحابه، وإذا تأملت وجدت أن هذا ينطبق على المنافقين تمامًا لا على المؤمنين، فالمنافقون أشد حرصًا على الحياة والمنافقون من أكذب الناس ألسنًا، والمنافقون من أجبن الناس عند اللقاء، فهذا الوصف حقيقة فى هؤلاء المنافقين، ومع ذلك يقول الله عز وجل: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (التوبة: ٦٥، ٦٦)

الحديث الرابع عشر:

(الدنيا متاع)

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما[١] أن رسول الله ﷺ قال:

«الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة»[٢].

الشرح:

قوله ﷺ: «الدنيا متاع» يعنى شىء يتمتع به، كما يتمتع المسافر بزاده، ثم ينتهى.

(وخير متاعها المرأة) إذا وفق الإحسان لامرأة صالحة فى دينها وعقلها، فهذا خير متاع الدنيا، لأنها تحفظه فى سره وماله وولده.

وإذا كانت صالحة فى العقل أيضًا، فإنها تدبر له التدبير الحسن فى بيته وفى تربية أولادها، إن نظر إليها سرته، وإن غاب عنها حفظته، وإن وكل إليها أمره لم تخنه. فهذه المرأة هى خير متع الدنيا.

ولهذا قال النبى ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، وحسبها، وجمالها، ودينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[٣].

يعنى عليك بها، فإنها خير من يتزوجه الإنسان، فذات الدين ـــ وإن كانت غير جميلة الصورة ـــ ولكن يجملها خلقها ودينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك.

---

(١) هو عبد الله بن عمرو بن العاص السهمى القرشى، أسلم قبل أبيه، وكان من عبّاد الصحابة وعلمائهم، كان يكتب فى الجاهلية، فاستأذن الرسول ﷺ فى أن يكتب ما يسمع منه فأذن له، وكان يشهد الحروب والغزوات، ويضرب بسيفين، حمل راية أبيه يوم اليرموك. وشهد صفين مع معاوية، وولاه معاوية الكوفة مدة قصيرة، توفى سنة (٦٥هـ) انظر ترجمته فى «أسد الغابة» (٣/ ٣٤٩) «حلية الأولياء» (١/ ٢٨٣) «الإصابة» (٢/ ٣٥١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٨٠).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٤٦٧) والنسائى (٦/ ٦٩) وابن ماجة (١٨٥٥) وأحمد (٢/ ٢٦٨) والبيهقى (٧/ ٨٠).

(٣) صحيح: أخرجه البخارى (٩/ ١١٥) ومسلم (١٤٦٦) وأبو داود (٢٠٤٧) والنسائى (٦/ ٦٨).

الحديث الخامس عشر:

(لو تتوكلون على الله لرزقكم كما يرزقه الطير)

عن عمر[١] ﷺ قال: قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تضر وخماصًا وتروح بطانًا»[٢].

الشرح:

قوله: «حق توكله» أى: توكلاً حقيقيًا تعتمدون عليه، عز وجل، اعتمادًا كاملاً فى طلب رزقكم وفى غيره.

«لرزقكم كما يرزق الطير» الطير رزقها على الله، عز وجل؛ لأنها طيور؛ ليس لها مالك، فتطير فى الجو، وتغدو إلى أوكارها، وتستجلب رزق الله عز وجل.

«تغدو خماصًا» الغدو: الذهاب فى أول النهار، وخماصًا: جائفة. كما قال الله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المائدة: ٣) مخمصة: مجاعة.

«تغدو خماصًا» ليس فى بطونها شىء، لكنها متوكلة على ربها عز وجل.

«وتروح بطانًا»: تروح، أى ترجع فى آخر النهار؛ لأن الرواح هو آخر النهار «بطانًا» أى: ممتلئة البطون من رزق الله عز وجل.

ففى هذا دليل على مسائل:

أولاً: أنه ينبغى للإنسان أن يعتمد على الله حق الاعتماد.

---

(١) هو عمر بن الخطاب بن نغفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن غالب، القرشى العدوى، أبو حفص، أمير المؤمنين، كان سفير قريش إلى القبائل فى الجاهلية، وكان أول البعثة شديدًا على المسلمين، ثم أسلم فكان إسلامه فتحًا عليهم وفرجًا لهم من الضيق، وكان إسلامه سنة ست من البعثة، وهاجر إلى المدينة جهرًا على أعين قريش، وحضر المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، بويع له بالخلافة سنة (١٣ هـ) بعهد من أبى بكر الصديق ﷺ، وقد فُتحت فى عهده الفتوحات العظيمة استشهد سنة (٢٢٣ هـ) بعد أن طعنه أبو لؤلؤة المجوسى وهو يصلى صلاة الصبح، رحمه الله تعالى ورضى عنه. انظر ترجمته فى «أسد الغابة» (٤/ ٥٣) «التاريخ الكبير» (٦/ ١٣٨) «الإصابة» (٥٧٣٦) «تهذيب الكمال» (١١/ ٣١٦) «صفة الصفوة» (١/ ٨٣) «نزهة المتقين» (٢/ ١٣٢٢).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٣٠) والترمذى (٢٣٤٤) وابن ماجه (٤١٦٤) وابن المبارك فى الزهد (٥٥٩) وابن حبان (٢٥٤٨) والحاكم (٤/ ٣١٨) وقال الحاكم: صحيح الإسناد. وأقره الذهبى، وأحمد شاكر فى تحقيقه للمسند (١/ ٢٤٣) والألبانى فى الصحيحة (٣١٠).

ثانيًا: أنه ما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها، حتى الطير فى جو السماء لا يمسكه فى جو السماء إلا الله ولا يرزقه إلا الله.

كل دابة فى الأرض من أصغر ما يكون كالذر، أو أكبر ما يكون كالفيلة وأشباهها، فإن على الله رزقها، كما قال الله: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ ﴾ (هود: ٦).

ولقد ضل ضلالاً مبينًا من أساء الظن بربه، فقال: لا تكثروا الأولاد، تضيق عليكم الأرزاق.

كذبوا ورب العرش، فإذا أكثروا من الأولاد أكثر الله رزقهم؛ لأنه ما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها، فرزق أولادك وأطفالك على الله عز وجل، هو الذى يفتح لك أبواب الرزق من أجل أن تنفق عليهم، لكن أكثر الناس عندهم سوء ظن بالله ويعتمدون على الأمور المادية المنظورة ولا ينظرون إلى المدى البعيد، وإلى قدرة الله وأنه هو الذى يرزق ولو كثر الأولاد. أكثر من الأولاد تكثر لك الأرزاق، هذا هو الصحيح، وفى هذا: دليل على أن الإنسان إذا توكل على الله حق التوكل، فليفعل الأسباب، وضل من قال: لا أفعل السبب وأنا متوكل، فهذا غير صحيح.

المتوكل هو الذى يفعل الأسباب معتمدًا على الله عز وجل، ولهذا قال ﷺ: «كما يرزق الطير، تغدو خماصًا» تذهب لتطلب الرزق، ليست الطيور فى أوكارها، ولكنها تغدو تطلب الرزق.

فأنت إذا توكلت على الله حق التوكل، فلا بد أن تفعل الأسباب التى شرعها الله لك، من طلب الرزق من وجه حلال بالزراعة، بالتجارة، بالعمالة.. بأى شىء من أسباب الرزق. اطلب الرزق معتمدًا على الله يسر لك الله الرزق.

أن الطيور وغيرها من مخلوقات الله تعرف الله، كما قال الله تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ ﴾ (الإسراء: ٤٤).

أى: ما من شىء إلا يسبح بحمد الله ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ ﴾ (الإسراء: ٤٤).

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴾ (الحج: ١٨).

فالطيور تعرف خالقها عز وجل، وتطير تطلب الرزق بما جبلها الله عليه من الفطرة التى تهتدى بها إلى مصالحها، وتغدو إلى أوكارها فى آخر النهار بطونها ملأى، وهكذا دواليك فى كل يوم، والله عز وجل يرزقها وييسى لها الرزق.

وانظر إلى حكمة الله كيف تغدو هذه الطيور إلى محلات بعيدة وتهتدى بالرجوع إلى إمساكنها لا تخطئها، لأن الله أعطى كل شىء خلقه ثم هدى.

الحديث السادس عشر:

(الكيس من دان نفسه)

عن أبى يعلى شداد بن أوس[1] ﷺ عن النبى ﷺ قال:

«الكيِّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله»[2].

الشرح:

قوله: «الكيس» معناه الرجل الحازم الذى يغتنم الفرص، ويتخذ لنفسه الحيطة لا تفوت عليه الأيام والليالى فيضيع.

وقوله: «من دان نفسه» أى: من حاسبها ونظر ماذا فعل من المأمورات، وماذا ترك من المنهيات، هل قام بما أمر به، وهل ترك ما نهى عنه؟ إذا رأى من نفسه تفريطًا فى الواجب استدركه إذا أمكن استدراكه، وقام به بعد أو بدله، وإذا رأى من نفسه انتهاك لمحرم أقلع عنه، وندم وتاب واستغفر.

---

(١) هو شداد بن أوس بن ثابت الخزرجى الأنصارى، أبو يعلى، صحابى من الأمراء، ولاه عمر إمارة حمص، ولما قتل عثمان اعتزل وعلف على العبادة، وكان فصيحًا حكيمًا حليمًا، توفى فى القدس سنة (٥٨ هـ) وله فى كتب الحديث (٥٠) حديثًا. انظر ترجمته فى «المنظم» (٥/ ٢٩٩) «طبقات ابن سعد» (٧/ ٢/ ١٢٤).

(٢) ضعيف: أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٢٤) والترمذى (٢٤٥٩) وابن ماجه (٤٢٦٠) والحاكم (١/ ٥٧، ٤/ ٢٥١) والطبرانى فى «الكبير» (٧/ ٣٣٨، ٣٤١) وفى «الصغير» (٣/ ٣٦) والبيهقى (٣/ ٣٦٩) والبغوى فى «شرح السنة» (١٤/ ٣٠٨) وضعفه الألبانى فى «ضعيف الجامع» (٤٣٠٦).

وقوله: «**عمل لما بعد الموت**» يعنى عمل للآخرة؛ لأن ما بعد الموتى فإنه من الآخرة، وهذا هو الحق والحزم أن الإنسان يعمل لما بعد الموت، لأنه فى هذه الدنيا مارٌّ بها مرورًا، والمآل هو ما بعد الموت، فإذا فرط ومضت عليه الأيام وأضاعها فى غير ما ينفعه فى الآخرة فليس بكيِّس، الكيس هو الذى يعمل لما بعد الموت.

(والعاجز من اتبع نفسه هواها) وصار لا يهتم إلا بأمور الدنيا، فيتبع نفسه هواها فى التفريط فى الأوامر، وفعل النواهى، ثم يتمنى على الله الأمانى، فيقول: الله غفور رحيم، وسوف أتوب إلى الله فى المستقبل، وسوف أصلح من حالى إذا كبرت وما أشبهه من الأمانى الكاذبة التى يمليها الشيطان، عليها فربما يدركها وربما لا.

ففى هذا الحديث:

الحث على انتهاز الفرص وعلى أن لا يضيع الإنسان من وقته فرصة إلا فيما يرضى الله عز وجل، وأن يدع الكسل والتهاون والتمنى؛ فإن التمنى لا يفيد شيئًا كما قال الحسن البصرى ــ رحمه الله: «ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى، ولكن الإيمان ما وقر فى القلب وصدقته الأعمال»(١).

فعلينا أيها الأخوة أن ننتهز الفرصة فى كل ما يقرب إلى الله من فعل الأوامر، واجتناب النواهى، حتى إذا قدمنا على الله كنا على أكمل ما يكون من حال.

نسأل الله أن يعيننا وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته.

---

(١) الزهد للإمام أحمد (ص ٢١٣).

الحديث السابع عشر:

(إن الدنيا حلوة خضرة)

عن أبى سعيد الخدرى ﷺ[1] قال:

«إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها؛ فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء»[2].

الشرح:

قوله: «**إن الدنيا حلوة خضرة**» حلوة فى المذاق، خضرة فى المرأى. والشىء إذا كان خضرًا حلوًا، فإن العين تطلبه أولاً، ثم تطلبه النفس ثانيًا، والشىء إذا اجتمع فيه طلب العين وطلب النفس، فإنه يوشك للإنسان أن يقع فيها.

فالدنيا حلوة فى مذاقها. خضرة فى مرآها، فيغتر الإنسان بها وينهمك فيه، ويجعلها أكبر همه، ولكن النبى ﷺ بيَّن أن الله تعالى مستخلفنا فيها، فينظر كيف نعمل هل تقومون بطاعته، وتنهون النفس عن الهوى، وتقومون بما أوجب الله عليكم ولا تغتروا بالدنيا أو أن الأمر بالعكس؟.

ولهذا قال: «**فاتقوا الدنيا**» أى: قوموا بما أمركم به واتركوا ما نهاكم عنه، ولا تغرنكم حلاوة الدنيا ونضرتها، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ (لقمان: ٣٣).

ثم قال: «**فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**» اتقوا النساء، أى: احذروهن. وهذا يشمل الحذر من المرأة فى كيدها مع زوجها، ويشمل أيضًا الحذر من النساء وفتنتهن؛ ولهذا قال: «**فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء**».

---

(١) هو سعد بن مالك بن سنان الخدرى، أبو سعيد: نسبته إلى خدرة، بطن من الخزرج، رُد يوم أحد لصغره، ومات أبوه فيها شهيدًا، وغزا بعدها مع رسول الله ﷺ اثنتى عشرة غزوة، وكان من فقهاء الصحابة وعلمائهم وفضلائهم، توفى بالمدينة سنة (٦٤هـ) روى له فى كتب الحديث (١١٧٠) حديثًا. انظر «الإصابة» (٣١٩٦) «أسد الغابة» (٢٠٣٥) «حلية الأولياء» (١/ ٣٦٩) «التاريخ الكبير» (٤٤٤) «تهذيب الكمال» (١٠/ ٢٩٤) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٦٨) «البداية والنهاية» (٩/ ٣) «صفة الصفوة» (١/ ٢٣٤) «نزهة المتقين».

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٤٢) وابن ماجه (٤٠٠٠) وأحمد (٣/ ٢٢) وابن خزيمة (٣٠/ ٩٩) وابن حبان (٣٢١١).

فافتتوا فى النساء، فضلوا وأضلوا ــ والعياذ بالله ــ ولذلك نجد أعداءنا وأعداء ديننا، أعداء شريعة الله، عز وجل، يركزون اليوم على مسألة النساء وتبرجهن واختلاطهن بالرجال ومشاركتهن للرجال فى الأعمال، حتى يصبح الناس كأنهم الحمير، لا يهمهم إلا بطونهم وفروجهم ــ والعياذ بالله ــ وتصبح النساء كأنهن دمى، أى: صور لا يهتم الناس إلا بشكل المرأة.

كيف يزينونها، وكيف يجملونها، وكيف يأتون لها بالمجملات، وما يتعلق بالشعر، وما يتعلق بالجلد، ونتف الشعر والساق والذراع، والوجه، وكل شىء؛ حتى يجعلوا أكبر هم النساء أن تكون المرأة كالصورة من البلاستيك، لا يهمها عبادة ولا يهمها أولاد.

ثم إن أعداءنا أعداء دين الله وشريعته، وأعداء الحياة يريدون أن يقحموا المرأة فى وظائف الرجال؛ حتى يضيقوا على الرجال الخناق، ويجعلوا الشباب يتسكعون فى الأسواق ليس لهم شغل، ويحصل من فراغهم هذا شر كبير، وفتنة عظيمة؛ لأن الشباب والفراغ والغنى من أعظم المفاسد كما قيل:

إن الشباب والفراغ والجدة　　　مفسدة للمرئ أى مفسدة

فهم يقمحون النساء الآن بالوظائف الرجالية ويدعون الشباب، ليفسد الشباب وليفسد النساء، أتدرون ماذا يحدث؟ يحدث مفسدة الاختلاط، ومفسدة الزنى والفاحشة، سواء فى زنى العين أو زنى اليد، أو زنى الفرج.. كل ذلك محتمل إذا كانت المرأة مع الرجل فى الوظيفة.

وما أكثر الفساد فى البلاد التى يتوظف الرجال فيها مع النساء، ثم إن المرأة إذا وظفت فإنها سوف تنعزل عن بيتها، وعن زوجها، وتصبح الأسرة متفككة، ثم إنها إذا وظفت، فسوف يحتاج البيت إلى خادم، وحينئذ نستجلب نساء العالم من كل مكان، وعلى كل دين، وعلى كل خلق، ولو كان الدين على غير الإسلام، ولو كان الخلق خلقًا فاسدًا.

نستجلب النساء ليكن خدمًا فى البيوت، ونجعل نساءنا تعمل فى محل رجالنا، فنعطل رجالنا، ونشغل نساءنا، وهذا فيه مفسدة عظيمة، وهى تفكك الأسرة؛ لأن الطفل إذا نشأ وليس أمامه إلا الخادم نسى أمه، ونسى أباه، وفقد الطفل تعلقه به، ففسدت البيوت وتشتت الأسر، وحصل فى ذلك من المفاسد ما لا يعلمه إلا الله.

ولا شك أن أعداءنا وأذناب أعدائنا، لأنه يوجد فينا أذناب لهؤلاء الأعداء، درسوا عندهم وتلطخوا بأفكارهم السيئة، ولا أقول: إنهم غسلوا أدمغتهم، بل أقول: إنهم لوثوا أدمغتهم بهذه الأفكار الخبيثة المعارضة لدين الإسلام.

قد يقولون: إنه لا يعارض العقيدة، **بل نقول:** إنه يهدم العقيدة، ليس معارضة العقيدة بأن يقول الإنسان بأن الله له شريك، أو أن الله ليس موجودًا وما أشبهه فحسب، بل هذه المعاصى تهدم العقيدة هدمًا: لأن الإنسان يبقى ويكون كأنه ثور أو حمار لا يهتم بالعقيدة ولا بالعبادة؛ لأنه متعلق بالدنيا وزخارفها وبالنساء، وقد جاء فى الحديث الصحيح: «ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء»[1] ولهذا يجب علينا ونحن أمة إسلامية أن نعارض هذه الأفكار، وأن نقف ضدها فى كل مكان وكل مناسبة علمًا بأنه يوجد عندنا قوم ــ لا كثرهم الله ولا أنالهم مقصودهم ــ يريدون هذا الأمر لهذا البلد المسلم المسالم المحافظ؛ لأنهم يعلمون أن آخر معقل للمسلمين هو هذه البلاد التى تشمل مقدسات المسلمين وقبلة المسلمين، ليفسدوها حتى تفسد الأمة الإسلامية كلها، فكل الأمة الإسلامية ينظرون إلى هذا البلاد ماذا تفعل، فإذا انهدم الحياء والدين فى هذه البلاد فسلام عليهم وسلام على الدين والحياء.

لهذا أقول:

يا إخوانى، يجب علينا ــ شبابًا وكهولاً وشيوخًا وعلماء، ومتعلمين ــ أن نعارض هذه الأفكار وأن نقيم الناس كلهم ضدها؛ حتى لا ترعى فينا سريان النار فى الهشيم فتحرقنا. نسأل الله أن يجعل كيد هؤلاء الذين يدبرون مثل هذه الأمور فى نحورهم، وإن لا يبلغهم منالهم وأن يكبتهم برجال صالحين. حتى تخمد فتنتهم إنه جواد كريم.

الحديث الثامن عشر:

(الحسد يأكل الحسنات)

عن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال:

«إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب. أو قال: العشب»[2].

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٩/ ١١٨) ومسلم (٢٧٤٠) والترمذى (٢٧٨٠) وابن ماجه (٣٩٩٨)) وأحمد (٥/ ٢٠٠).

(٢) ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٩٠٣) وعبد بن حميد (١٥٣، ١٥٤) «المنتخب» وضعفه الألبانى فى «ضعيف الجامع» (٢١٩٧).

الشرح:

الحسد: هو أن يكره الإنسان ما أنعم الله به على غيره من علم أو مال أو أهل أو جاه، أو غير ذلك، وهو من كبائر الذنوب ومن سمات اليهود ــ والعياذ بالله ــ كما قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ (البقرة: ١٠٩).

وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ أى أعطاهم من فضله ﴿ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾.

(النساء: ٥٤)

وحذر النبى ﷺ من الحسد وبيَّن أنه يأكل الحسنات كما تأكل النار العشب أو قال الحطب.

ثم إن الحسد فيه اعتراض على قضاء الله وقدره؛ لأن الحاسد لم يرض بقضاء الله وقدره، يعنى لم يرض أن الله أعطى هذا الرجل مالاً أو أعطاه أهلاً أو أعطاه علمًا، ففيه اعتراض على قضاء الله وقدره.

ثم إن الحسد جمرة فى القلب ــ والعياذ بالله ــ كلما أنعم الله على عبده نعمة احترق هذا القلب ــ والعياذ بالله ــ حيث أنعم الله تعالى على عباده، فتجده دائمًا فى نكد وقلق، والحسد ربما يحصل منه بغى وعدوان على غيره ممن آتاه الله من فضله، وربما يشوه سمعته الناس ويقول فيه كذا وكذا، وهو كاذب أو صادق، لكن يريد أن يحسد هذا الرجل على النعمة، فربما يحصل منه هذا العدوان على أخيه المسلم.

ثم إن الحسد لا يرد نعمة الله على عبده مهما حسدت، ومهما بقيت، فإنك لن تمنع قدر الله على عباده، قال النبى ﷺ لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك»(١) وإلا فلن يضروك.

فالواجب على الإنسان إذا رأى من نفسه حسدًا لأحد أن يتقى الله وأن يوبخ نفسه ويقول لها: كيف تحسدين الناس على ما آتاهم الله من فضله؟ كيف تكرهين نعمة الله

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذى (٢٥١٦) وأحمد (١/ ٣٠٢) وابن السنى (٤١٩) وأبو يعلى (٢٥٥٦) والآجرى (ص١٩٨) فى الشريعة، وصححه الألبانى فى «صحيح الجامع» (٧٩٥٧).

على عباده، يقول: أرأيت لو كانت هذه النعمة عندك أتحبين أن أحدًا يحسدك عليها، ويوبخها، يوبخ النفس، وكذلك يقول لها: أنت لو حسدت كرهت ما أعطى الله من فضله، فإن ذلك لن يضر المحسود، بل هو من ضرر على الحاسد، وأشبه ذلك مما يوبخ به نفسه، حتى يدع ما به من الحسد، وحينئذ يطمئن ويستريح ولا يتنكد، ولا يتكدر.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق والأعمال، لا يهدى لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئ الأخلاق، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

الحديث التاسع عشر:

(المتشبع بمالم يعط كلابس ثوبى زور)

عن أسماء رضى الله عنها[١] أن امرأة قالت: يا رسول الله، إن لى ضرة، **فهل علىَّ جناح إن تشبَّعت من زوجى غير الذى يعطين، فقال النبى ﷺ:**

«المتشبع بمالم يعط كلابس ثوبى زور»[٢].

الشرح:

قال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (سورة ق: ١٨) يعنى إلا عنده رقيب، أى: مراقب يراقب ما يقول ﴿ عَتِيدٌ ﴾ حاضر فلا يغيب عنه، وهذا تحذير من أن يتكلم الإنسان بشىء لا يعلم عنه؛ لأنه بذلك آثم.

وفى الحديث: «كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع»[٣] يعنى أن الإنسان إذا صار يحدث بكل ما سمع من غير تثبت وتأن، فإنه يكون عرضه للكذب، وهذا هو الواقع، ولهذا يجىء إليك بعض الناس يقولون: صار كذا وكذا، ثم إذا بحثت وجدت أنه

---

(١) أسماء بنت أبى بكر: صحابية من الفضليات، وهى أخت أم المؤمنين عائشة لأبيها، وأم عبد الله بن الزبير. وكانت فصيحة حاضرة القلب واللب. وتقول الشعر، طلقها زوجها الزبير بن العوام. فعاشت مع ابنها عبد الله بمكة إلى أن قُتل. وتوفيت بمكة سنة (٧٣ هـ) وسميت ذات النطاقين؛ لأنها شقت نطاقها وشدت به الطعام لرسول الله ﷺ حين هاجر إلى المدينة، لما فى كتب الحديث (٥٦) حديثًا. انظر ترجمتها فى «الإصابة» (٤/ ٢٢٩) «أسد الغابة» (٧/ ٩) «حلية الأولياء» (٢/ ٥٥) تهذيب الكمال (٣٥/ ١٢٦) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٨٧) «صفة الصفوة» (١/ ٢٧٩) «نزهة المتقين» (٢/ ١٢٩٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٥٢١٩) ومسلم (٢١٣٠).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (١/ ٦٧) وأبو داود (٤٩٩٢) والحاكم (١/ ١١٢) والقضاعى فى مسند الشهاب (١/ ١١٤).

لم يكن، أو يأتى إليك ويقول: قال فلان كذا وكذا، فإذا بحثت وجدته لم يقل ــ وأعظم شيء أن يكون هذا فيما يتعلق بحكم الله وشريعته، بأن يكذب على الله فيقول فى القرآن برأيه، يفسر القرآن بغير ما أراد الله، أو يكذب على النبى ﷺ، يقول: قال النبى ﷺ كذا، وهذا كاذب، أو ينقل حديث يرى أنه كذب، وهو لم يكذبه، ولكن يقول: قال: فلان كذا وكذا عن رســول الله ﷺ وهو يرى أنه كذب، فإن يكون أحد الكاذبيْن كما بيَّن ذلك النبى ﷺ[١].

ويزداد إثمًا إذا تشبع الإنسان بما لم يعط كما فى حديث المرأة أنه يكون لها ضرة يعنى زوجة أخرى مع زوجها، فتقول: إن زوجتى اعطانى كذا وأعطانى كذا، وهى كاذبة، لكن تريد أن تراغم «تغيظ» ضرتها وتفسدها على زوجها، فهذا كما قال النبى ﷺ: «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور» أى كذب.

والحاصل أنه يجب على الإنسان أن يتثبت فيما يقول، ويتثبت فيمن ينقل إليه الحبر، وهل هو ثقة أو غير ثقة، كما قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾ (الحجرات: ٦) ولا سيما إذا كثرت الأهواء، وصار الناس يتخبطون ويكثرون القيل والقال، بلا تثبت ولا بينة، فإنه يكون التثبت أشد وجوبًا، حتى لا يقع الإنسان فى المهلكة.

والله الموفق.

الحديث العشرون:

(دعوه فإن لصاحب الحق مقال)

عن أبى هريرة ﷺ أن رجلاً أتى النبى ﷺ يتقاضاه فأغلظ له، فهمَّ به أصحابه، فقال رسول الله ﷺ:

«دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً» ثم قال: «أعطوه سنًا مثل سنه» قالوا: يا رسول الله، لا نجد إلا أمثل من سنه، قال: «أعطوه فإن خيركم أحسنكم قضاء»[٢].

---

(١) لما أخرجه مسلم (١/ ٥٩) من حديث المغيرة بن شعبة مرفوعًا: «من حدَّث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين».

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٢٣٠٦) ومسلم (١٦٠١).

الشرح:

حديث أبى هريرة ﷺ أن أعرابيًّا جاء يتقاضى الرسول ﷺ حقه، يتقاضاه، يعنى يطلب أن يقضيه النبى ﷺ؛ وذلك أن الرسول ﷺ استقرض بكرًا (يعنى ناقة صغيرة) فجاء صاحبها يطلبها، يقول: أعطنى بكرى.

والأعراب ــ كما نعلم ــ عندهم جفاء، فأغلظ للرسول ﷺ القول، فهمَّ به الصحابة، يعنى هموا به أن يضربوه أو يسكتوه أو ما أشبه ذلك، فقال: «دعوه، فإن لصاحب الحق مقالاً» صلوات الله وسلامه عليه، ما ظنكم لو تكلم مثل هذا الأعرابى على جندى من الجنود، ماذا يفعل به؟؟ يبطش به، أو على أمير من الأمراء، أو على قاض من القضاة، أو على وزير من الوزراء، لو جاء يطلب حقه ولو بسهوله ربما يفتك به، إلا من شاء الله.

هذا يغلظ القول لمحمد رسول الله ﷺ ويقول: «دعوه، فإن لصاحب الحق مقالاً».

ومن هنا نعرف أن الإنسان إذا كان عليه حق لشخص، وجاء الشخص يطلبه فلصاحب الحق أن يغلظ له القول، لأنه صاحب حق.

والرسول ﷺ سيوفيه، لا شك، لكن قد لا يكون عنده تلك الساعة شيء؛ ولذلك أمرهم بقضاء بكره، فقالوا: إنا لا نجد إلا سنًّا خيرًا من سنه، وفى رواية قالوا: لا نجد إلا رباعيًّا خيارًا، والرباعى أحسن بكثير من البكر، البكر الصغير، والرباعية كبيرة، تتحمل الحمل والأثقال وغير ذلك، فأمرهم النبى ﷺ أن يعطوه إياها.

وقال: «إن خيركم أحسنكم قضاء» فى صفة القضاء، وفى معاملة المستقضى الذى يطلب حقه.

فينبغى للإنسان أن يقتدى برسول الله ﷺ فى حسن القضاء، لكن معاملة المستقضى الذى يطلب حقه أن لا يعامله بالجفاء والسب والشتم، بل باللين؛ لأنه له حقًّا ومقاله، ولا فى المقضى يعنى يقضى أحسن مما عليه سواء كان أحسن مما عليه كيفية، أو أكثر مما يطلب، فمثلاً إذا استقرضت من شخص مائة ريال وعند الوفاء أعطيته مائة وعشرين بدون شرط، فإن هذا لا بأس به، وهو خير من القضاء.

وكذلك لو استقرضت منه صاعا من الطعام وسطًا، ليس بالطيب ولا بالرديء فأعطيته صاعًا طيبًا فهذا أيضًا من حسن القضاء، وخير الناس أحسنهم قضاء.

الحديث الحادى والعشرون:

(حجبت الجنة بالمكاره)

عن أبى هريرة ﷺ[1] أن رسول الله ﷺ قال:

«حُجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره»[2].

الشرح:

قوله: «حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره» يعنى: أحيطت بها؛ فالنار قد أحيطت بالشهوات والجنة قد أحيطت بالمكاره، والشهوات هى ما تميل إليه النفس من غير تعقل ولا تبصر ولا مراعاة لدين ولا مراعاة لمروءة ــ فالزانى ــ والعياذ بالله ــ شهوة الفرج ــ تميل إليها النفس كثيرًا، فإذا هتك الإنسان هذا الحجاب، فإنه سيكون سببًا لدخوله النار، وكذلك شرب الخمر، تهواه النفس وتميل إليه، ولهذا جعل الشارع له عقوبة رادعة بالجلد، فإذا هتك الإنسان هذا الحجاب وشرب الخمر أداه ذلك إلى النار ــ والعياذ بالله.

وكذلك حب المال شهوة من شهوات النفس، فإذا سرق الإنسان بدافع شهوة حب جمع المال، فالرغبة أن يستولى على المال الذى ترغبه نفسه، فإذا سرق فقد هتك هذا الحجاب، فيصل إلى النار ــ والعياذ بالله.

ومن ذلك الغش من أجل أن يزيد ثمن السلعة، هذا تهواه النفس فيفعله الإنسان، فيهتك الحجاب الذى بينه وبين النار، فيدخل النار.

الاستطالة على الناس والعلو عليهم والترفع عليهم، كل إنسان يحب هذا وتهواه النفس، فإذا فعله الإنسان فقد هتك الحجاب الذى بينه وبين النار، فيصل إلى النار، والعياذ بالله.

---

(١) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسى، الصحابى المحبوب، أسلم عام خيبر، وشهدها مع رسول الله ﷺ ثم لازمه ملازمة تامة، وكان أحفظ الصحابة ببركة دعاء النبى له بذلك، وشهد له النبى أنه حريص على العلم والحديث، توفى بالمدينة، سنة (٥٧ هـ) وروى له فى كتب الحديث (٥٣٧٤) حديثًا. انظر ترجمته فى «الإصابة» لابن حجر (١٢/ ٦٣) «أسد الغابة» (٦/ ٣١٨) «حلية الأولياء» (١/ ٣٧٦) «تهذيب الكمال» (٤/ ٣٦٦) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٥٧٨) «البداية والنهاية» (٨/ ١٠٣) «نزهة المتقين» (٢/ ١٣١٩).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٦٤٨٧) ومسلم (٢٨٢٢) وأبو داود (٤٧٤٤) والترمذى (٣٥٦٢) والنسائى (٧/ ٣) والدارمى (٢/ ٣٣٩) وأحمد (٣/ ١٥٣).

ولكن ما دواء هذه الشهوة التى تميل إليها النفس الأمارة بالسوء، دواؤها ما بعدها قال: «وحجبت الجنة بالمكاره» يعنى: أحيطت بما تكره النفوس؛ لأن الباطل محبوب للنفس الأمارة بالسوء، والحق مكروه لها، فإذا تجاوز الإنسان هذا المكروه، وأكره نفسه الأمارة بالسوء على فعل الواجبات، وعلى ترك المحرمات، فحينئذ يصل إلى الجنة.

ولهذا تجد الإنسان يستثقل الصلوات مثلاً، ولا سيما فى أيام الشتاء وأيام البرد، ولا سيما إذا كان فى الإنسان نوم كثير بعد تعب وجهد، فتجد الصلاة ثقيلة عليه، ويكره أن يقوم ويصلى ويترك الفراش اللين الدافئ، ولكن إن هو كسر هذا الحاجب وقام بهذا المكروه وصل إلى الجنة.

وكذلك النفس الأمارة بالسوء تدعو صاحبها إلى الزنى، والزنى شهوة وتحبه النفس الأمارة بالسوء، لكن إذا عقلها صاحبها وكرهها على تجنب هذه الشهوة فهذا أكره له، ولكن هو الذى يوصله إلى الجنة؛ لأن الجنة حفت بالمكارة.

وأيضًا: الجهاد فى سبيل الله مكروه إلى النفس ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٦) مكروه للنفس، فإذا كره الإنسان هذا الحجاب كان ذلك سببًا لدخول الجنة، واستمع إلى قول الله تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٦٩ - ١٧١) فإذا كسر الإنسان هذا المكروه وصل إلى الجنة.

كذلك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شديد على النفوس شاق عليها. وكل إنسان يتهاون فيها، ويكرهه، يقول: ما على بالناس، أتعب نفسى معهم وأتعبهم معى؟! ولكنه إذا كسر هذا المكروه، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فإن هذا سبب لدخول الجنة، وهلم جرا، كل الأشياء التى أمر الله بها مكروهة للنفوس، لكن أكره نفسك عليها حتى تدخل الجنة.

فاجتناب المحرمات مكروه إلى النفوس وشديد عليها، لا سيما مع قوة الداعى، فإذا أكرهت نفسك على ترك هذه المحرمات، فهذا من أسباب دخول الجنة، فلو أن رجلاً

شابًا عزبًا فى بلاد كفر وحرية، فيها يفعل الإنسان ما شاء، وأمامه من النساء الجميلات، فتيات شابات، وهو شاب عزب فلا شك أنه سيعانى مشقة عظيمة فى ترك الزنى، لأنه متيسر له، وأسبابه كثيرة، لكن إذا أكره نفسه على تركها صار هذا سببًا لدخول الجنة.

واستمع إلى قول النبى ﷺ: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله»[1] أى يوم القيامة، حيث تدنو الشمس الحارة العظيمة، التى نحس بحرارتها الآن، وبيننا وبينها آلاف السنين، هذه الشمس تدنو يوم القيامة؛ حتى تكون على رءوس الخلائق بمقدار ميل.

قال بعض العلماء: الميل: المكحلة، والملحة صغيرة أصغر من الإصبع، وقال بعضهم: ميل المسافة، وأيا كان الميل، فالشمس قريبة من الرءوس. لكن هناك أناس «يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله» أسأل الله أن يجعلنى وإياكم ممن يظله الله.

«يظلهم الله» يعنى يخلق لهم ما يظلهم يوم لا ظل إلا ظله، وليس فى ذلك اليوم بناء، ولا شجر ولا جبال، تظلله، وليس هناك إلا ظل رب العالمين، هذا الظل يظل الله فيه من شاء من عباده، ومنهم هؤلاء السبعة الذين ذكرهم الرسول ﷺ فى قوله: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل...» وليس المقصود بالإمام العادل أنه يحكم لأقاربه وغيرهم على حد سواء، فهذا من معنى العدل، لكن الإمام العادل الذى يطبق شريعة الله فى كل شىء: فى الحكم، فى الناس، وفى الحكم بين الناس، هذا هو الإمام العادل.

ولو فرضنا إمامًا عادلاً يعدل بين الناس فى الحكم لكن لا يطبق فيهم شرع الله، فليس بعادل، العادل الذى يحكم بين الناس وفى الناس بحكم الله عز وجل.

«وشاب نشأ فى طاعة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا فى الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال» وهذا هو الشاهد، فالمرأة ذات منصب يعنى شريفة ليست دنيئة، وذات جمال، والجمال يدعو الناس إلى التطلع إلى المرأة، فقال: «إنى أخاف الله» فالرجل شاب وفيه شهوة. وأسباب الزنى

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١) والترمذى (٢٣٩٢) والنسائى (٨/ ٢٢٢).

قائمة والموانع معدومة، ولكن هناك مصانع واحد وهو خوف الله عز وجل فقال: إنى أخاف الله، فكان هذا من الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله.

والسادس: «رجل تصدق بصدقة فأخفاها؛ حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» من شدة إخلاصه.

والسابع: «رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه» أى فاضت عيناه شوقًا إلى ربه، عز وجل، وفاضت عيناه خوفًا من ربه، وكان خاليًا ليس عنده أحد، خالى القلب من الدنيا، فليس فيه هواجس، بل خالٍ إلا من ذكر الله، فذكر الله فى هذه الخلوة القلبية، والخلوة المكانية، ففاضت عيناه، فكان هذا ممن يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله.

والمهم أن النار حجبت بالشهوات، والجنة حجبت بالمكاره؛ فجاهد نفسك على ما يحب الله وإن كرهت، واعلم علم إنسان مجرب: أنك إذا أكرهت نفسك على طاعة الله أحببت الطاعة وألفتها، وصرت بعد ما كنت تكرهها تأبى نفسك إذا أرادت أن تتخلف عنها.

ونحن نجد بعض الناس يكره أن يصلى مع الجماعة، ويثقل عليه ذلك عندما يبدأ فى فعله، لكن إذا به بعد فترة تكون الصلاة مع الجماعة قرة عينه، ولو تأمره ألا يصلى لا يطيعك، فأنت عود نفسك وأكرهها أول الأمر. وستلين لك فيما بعد وتنقاد.

أسأل الله أن يعيننى وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته.

الحديث الثانى والعشرون:

(بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل)

عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

«بادروا بالأعمال، فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمس كافرًا، ويمس مؤمنًا، ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا»[1].

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١/ ٧٦) والترمذى (٣/ ٣٢٠) وأحمد (٢/ ٣٠٤) وابن حبان (١٨٦٨) وأبو يعلى (١١/ ٣٩٦) والحاكم (٤/ ٤٣٨).

الشرح:

قوله: «بادروا بالأعمال» يعنى أسرعوا إليها، والمراد: الأعمال الصالحة، وهى كل عمل يعمله الإنسان خالصًا لله موافقًا فيه رسول الله ﷺ، يعنى أن العمل الصالح ما بنى على أمرين: الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله ﷺ، وهذا هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

فالعمل الذى ليس بخالص ليس بصالح، لو قام الإنسان يصلى، ولكنه يرائى الناس بصلاته. فإن عمله لا يقبل حتى لو أتى بشروط الصلاة، وأركانها، وواجباتها وسننها، وطمأنينتها، وأصلح إصلاحًا تامًا فى الظاهر، ولكنها لا تقبل منه؛ لأنها خالطها الشرك، والذى يشرك بالله معه غيره لا يقبل الله عمله، كما فى الحديث الصحيح عن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك»[1] يعنى إذا أحد شاركنى فأنا غنى عن شركه.

«من عمل عملاً أشرك فيه معى تركته وشركه» كذلك أيضًا: لو أن الإنسان أخلص فى عمله، لكنه أتى ببدعة ما شرعها الرسول ﷺ فإن عمله لا يقبل حتى لو كان مخلصًا، حتى لو كان يبكى من الخشوع؛ فإنه لا ينفعه ذلك، لأن البدعة وصفها النبى ﷺ بأنها ضلالة، فقال: «فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[2]، فقوله ﷺ: «بادروا بالأعمال» يعنى: بالأعمال الصالحة، وهى كل عمل كان خالصًا لله صوابًا على شريعة الله، هذا هو العمل الصالح.

ثم قال: «فتنًا كقطع الليل المظلم» أخبر أنه ستوجد فتن كقطع الليل المظلم، يعنى أنها مدلهمة مظلمة لا يرى فيها النور والعياذ بالله ـــ ولا يدرى الإنسان أين يذهب، يكون حائرًا، ما يدرى أين المخرج، أسأل الله لنا وإياكم أن يعيذنا من الفتن.

والفتن منها ما يكون من الشبهات، وفتن تكون من الشهوات، ففتن الشبهات: كل فتنة مبنية على الجهل، فهى فتنة شبهة، ومن ذلك ما حصل من أهل البدع الذين ابتدعوا

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٨٥) وابن ماجه (٤٢٠٢) وأحمد (٢/ ٣٠١) وابن حبان (٣٩٦).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذى (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٣، ٤٤) والدارمى (١/ ٤٤) وأحمد (٤/ ١٢٦) وابن أبى عاصم فى «السنة» (٢٧) والطحاوى فى «مشكل الآثار» (٢/ ٦٩) والآجرى فى الشريعة (ص ٤٦) والمروزى فى «السنة» (٦٩) والحاكم (١/ ٩٥) وأبو نعيم فى «الحلية» (٥/ ٢٢٠) وصححه الألبانى فى «صحيح الجامع» (٢/ ٣٤٦).

فى عقائدهم ما ليس من شريعة الله، أو أهل البدع الذين ابتدعوا فى أقوالهم وأفعالهم ما ليس من شريعة الله، فإن الإنسان قد يفتن ـ والعياذ بالله ـ فيضل عن الحق بسبب الشبهة.

ومن ذلك أيضًا: ما يحصل فى المعاملات من الأمور المشبهة التى هى واضحة فى قلب الموقن، مشتبهة فى قلب الضال ـ والعياذ بالله ـ تجده يتعامل معاملة تبين أنها محرمة، لكن لما على قلبه من ريم الذنوب ـ نسأل الله العافية ـ يشتبه عليه الأمر فيزين له سوء عمله، ويظنه حسنًا، وقد قال الله تعالى فى هؤلاء: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (الكهف: ١٠٣، ١٠٤) فهؤلاء هم الأخسرون ـ والعياذ بالله.

إذن الفتن تكون من الشبهات، وتكون أيضًا من الشهوات، بمعنى أن الإنسان يعرف أن هذا حرام، ولكن لأن نفسه تدعوه إليه فلا يبالى، بل يفعل الحرام، يعلم أن هذا واجب، لكن نفسه تدعوه للكسل، فيترك هذا الواجب، هذه فتنة شهوة، يعنى فتنة إرادة.

ومن ذلك أيضًا ـ بل من أعظم ما يكون ـ فتنة شهوة الزنا أو اللواط ـ والعياذ بالله ـ وهذه من أضر ما يكون على هذه الأمة، قال النبى ﷺ: «ما تركت فتنة أضر على الرجال من النساء»[1] وقال: «اتقوا النساء، فإنما كانت فتنة بنى إسرائيل فى النساء»[2].

ولدينا الآن ـ فى مجتمعنا ـ من يدعو إلى هذه الرذيلة ـ والعياذ بالله ـ بأساليب ملتوية، يلتوون فيها بأسماء لا تمت إلى ما يقولون بصلة، لكنها وسيلة إلى ما يريدون، من تهتك لستر المرأة، وخروجها من بيتها، لتشارك الرجل فى أعماله، ويحصل بذلك الشر والبلاء، ولكن نسأل الله أن يجعل كيدهم فى نحورهم وأن يسلط حكامنا عليهم بإبعادهم عن كل ما يكون سببًا للشر والفساد فى هذه البلاد، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق حكامنا بطانة صالحة، تدلهم على الخير وتحثهم عليه.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٩/ ١١٨) ومسلم (٢٧٤٠).
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٤٢) والترمذى (٢١٩٢) وابن ماجه (٤٠٠٠).

إن فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء، وهى أعظم فتنة، وهناك أناس الآن يحيكون من أجل أن يهدروا كرامة المرأة، من أجل أن يجعلوها كالصورة، كالدمى، مجرد شهوة وزهرة يتمتع بها الفساق والسفلاء من الناس، ينظرون إلى وجهها كل حين، وكل ساعة ــ والعياذ بالله ــ ولكن بحول الله أن دعاء المسلمين سوف يحيط بهم، وسوف يكبتهم ويردهم على أعقابهم خائبين، وسوف تكون المرأة السعودية، بل المرأة فى كل مكان من بلاد الإسلام محترمة مصونة، حيث وصفها الله عز وجل.

المهم أن الرسول ﷺ حذرنا من هذه الفتن التى هى كقطع الليل المظلم، يصبح الإنسان مؤمنًا ويمسى كافرًا ــ والعياذ بالله ــ يوم واحد يرتد عن الإسلام، يخرج من الدين، يصبح فيه مؤمنًا ويمسى كافرًا.

نسأل الله العافية، لماذا؟ «يبيع دينه بعرض من الدنيا» ولا نظن أن العرض من الدنيا هو المال، كل متاع الدنيا عرض، سواء مال أو جاه أو رئاسة أو نساء أو غير ذلك، كل ما فى الدنيا من متاع فإنه عرض، كما قال تعالى: ﴿ تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ﴾ (النساء: ٩٤).

فما فى الدنيا كله عرض، فهؤلاء الذين يصبحون مؤمنين ويمسون كفارًا أو يمسون مؤمنين ويصبحون كفارًا، كلهم يبيعون دينهم بعرض من الدنيا.

نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من الفتن، واستعيذوا دائمًا من الفتن، وما اعظم ما أمرنا به نبينا ﷺ، حيث قال: «إذا تشهد أحدكم ــ يعنى التشهد الأخير ــ فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»(١).

نسأل الله أن يثبتنا وإياكم بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (١٣٧٧) ومسلم (٥٨٨) والنسائى (٣/ ٥٨) وابن ماجه (٩٠٩).

الحديث الثالث والعشرون:

(تقبض الأمانة ويظل أثرها مثل المجل)

عن حذيفة بن اليمان[(١)] ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر:

حدَّثنا حُذيفة قال: «حدَّثنا رسولُ الله ﷺ حديثين رأيتُ أحدَهما وأنا أنتظرُ الآخر، حدَّثنا أن الأمانةَ نزلت فى جذر قلوبِ الرجال، ثمَّ نزل القرآن فعلموا منَ القرآن، ثم علموا من السُّنَّة، وحدَّثنا عن رفعها قال: يَنامُ الرجلُ النَّومة فتُقبضُ الأمانةُ من قَلبه، فيَظلُّ أثرُها مثل أثرِ الوَكت، ثم ينام النومة فتُقبضُ، فيبقى أثرُها مثلَ المجل، كجمْرٍ دَحْرجتَهُ على رِجلكَ فنَفط، فتَراهُ مُنتَبرًا وليسَ فيه شىء. فيُصبحُ الناسُ يَتبايعون، فلا يكادُ أحدُهم يُؤدِّى الأمانة، فيقال: إن فى بنى فلان رجُلاً أميناً، ويقال للرَّجل: ما أعقلَهُ وما أظرفَهُ وما أجلدَه، وما فى قلبهِ مثقالُ حبةِ خَرْدَلٍ من إيمان. ولقد أتى على زمانٌ وما أُبالى أيُّكم بايعتُ، لئنْ كان مسلماً ردَّهُ على الإسلام، وإن كان نصرانيًا ردَّه على ساعيه، فأما اليوم فما كنتُ أُبايعُ إلا فلاناً وفلاناً»[(٢)].

الشرح:

قول حذيفة بن اليمان ﷺ: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، قد رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر، وكان النبى ﷺ يحدث أصحابه بما يراه مناسبًا، والنبى ﷺ إذا حدث أحدًا بشىء، فإنه حديث له وللأمة إلى يوم القيامة، وحذيفة ﷺ يقال له صاحب السر، لأن النبى ﷺ حدثه عن قوم من المنافقين، علمهم النبى ﷺ فأخبر بهم حذيفة، وكانوا نحو ثلاثة عشر رجلا، سماهم بأسمائهم.

وكان عمر بن الخطاب ﷺ لشدة خوفه من الله، يلتقى بحذيفة فيقول: أنشدك الله هل سمانى لك رسول الله ﷺ مع من سماهم من المنافقين؟.

---

(١) هو: حذيفة بن اليمان أبو عبد الله بن جابر العبسى، واليمان لقب حسل، صحابى، ومن الولاة الشجعان الفاتحين، كان صاحب سر رسول الله ﷺ فى المنافقين لم يعلمهم أحد غيره، ولاه عمر على المدائن، وتوفى بها سنة (٣٦هـ) له فى كتب الحديث (٢٢٥) حديثًا، انظر ترجمته فى «الإصابة» (١/ ٣١٧) «أسد الغابة» (١/ ٤٦٨) «حلية الأولياء» (١/ ٢٧٠) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٦١) «نزهة المتقين» (٢/ ١٣٠٣).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٦٤٩٧) ومسلم (١٤٣) والترمذى (٢١٧٩) وابن ماجه (٤٠٥٣) وأحمد (٥/ ٣٨٣) والطيالسى (٤٢٤) والحميدى (٤٤٦) والبيهقى (١٠/ ١٢٢).

هذا هو عمر بن الخطاب ﷺ الذى هو أفضل هذه الأمة بعد نبيها وأبى بكر رضى الله عنهم، فهو الثانى بعد الرسول ﷺ فى هذه الأمة، وله من اليقين والمقامات العظيمة ما هو معلوم، حتى قال النبى ﷺ: «إن يكن فيكم محدثون فعمر»(١).

يعنى إن كان فيكم أحد ملهم للصواب فهو عمر، يمدحه ويثنى عليه لموافقته للصواب، وإيمانه ﷺ معروف ومشهور، ومع ذلك يقول: أنشدك الله هل سمانى لك رسول الله ﷺ مع من سماهم من المنافقين؟.

فيقول حذيفة: لا، ولا أزكى بعدك أحدًا.

فذكر ﷺ ما حدثه به النبى ﷺ من نزع الأمانة من قلوب الرجال.

فقوله ﷺ: «إن الأمانة نزلت فى جذر قلوب الرجال» يعنى فى أصلها، ثم أنزل عليهم من القرآن والسنة ما يثبت ويؤيد هذا الأصل، فجاء القرآن والسنة مؤيدين للفطرة التى فطر الله الناس عليها، وعلموا من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ فازدادوا بذلك إيمانًا وثباتًا وأداء للأمانة، ولكن أخبر بالحديث الثانى أن هذه الأمانة سوف تنزع من قلوب الرجال ــ والعياذ بالله ــ تنزع فيصبح الناس يتحدثون إن فى بنى فلان رجلاً أمينًا، يعنى أنك لا تكاد تجد فى القبيلة رجلاً واحدًا أمينًا، والباقى كلهم على خيانة، لم يؤدوا الأمانة.

ولقد شاهد الناس اليوم مصداق هذا الحديث عن رسول الله ﷺ، فإنك تستعرض الناس رجلاً رجلاً حتى تبلغ إلى حد المائة أو المئات، لا تجد الرجل الأمين الذى أدى الأمان كما ينبغى فى حق الله ولا فى حق الناس، قد تجد رجلاً أمينًا فى حق الله، يؤدى الصلاة، يؤدى الزكاة، يصوم، يحج، يذكر الله كثيرًا، يسبح، لكنه فى المال ليس أمينًا، إن وكل إليه عمل حكومى فرط وصار لا يأتى للدوام إلا متأخرًا، ويخرج قبل انتهاء الوقت، ويضيع الأيام الكثيرة فى أشغاله الخاصة، ولا يبالى، مع أنك تجده فى مقدمة الناس فى المساجد، وفى الصدقات، وفى الصيام، وفى الحج، ويتصدق، لكنه ليس أمينًا فى وظيفته، يعرف أنه لا يجوز للموظف أن يتاجر أو يفتح محل تجارة، ولكنه لا يبالى، إما باسمه صريحًا أو باسم مستعار، وإما برجل أجنبى يجعله فى هذا الدكان، وما أشبه ذلك، فيكذب، ويخون الدولة، ويأكل المال بالباطل، وهذا الذى يأكله من الحرام مانع لإجابة دعوته والعياذ بالله.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٧/ ٥٢).

قال النبى ﷺ: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين» قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٢) وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (المؤمنون: ٥١) ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغُذى بالحرام، فأنَّى يستجاب لذلك»[١].

يقول النبى ﷺ: «أنى يستجاب لذلك» بعيد أن يستجيب الله لهذا الرجل الذى هو أشعث أغبر يمد يديه للسماء: يا رب، يا رب: ومع ذلك يبعد أن الله يستجيب له، لأنه يأكل الحرام، هذا الذى يكون موظفًا بمقتضى عهد الوظيفة فإنه يمنع من مزاولة التجارة، فكل كسب كسبه من هذه التجارة فهو حرام عليه، سحت ـــ والعياذ بالله ـــ نقول لمثل هذا: أنت الآن بالخيار: إن شئت أن تبقى على الوظيفة فاترك التجارة، وإن رأيت أن التجارة أنسب لك وأكثر فائدة، فاترك الوظيفة، قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ (الإسراء: ٣٤).

يتعلل بعض الناس فيقول: كيف تمنعوننى من التجارة وهناك وزراء يتاجرون بالأراضى وعندهم شركات، فنقول: إذا ضل الناس لم يكن ضلالهم هدى، وإذا كانوا هم ضالين ظالمين بما يصنعون فلا تضل أنت، فإذا قال مثلاً هذه النظم جاءت من تحت أيديهم، هم الذين شرعوها، فكيف يخالفونها؟ نقول: حسابهم على الله سيكونون هم أول من يحزن ويتحسر على ما صنعوا يوم القيامة، حيث لا مال عندهم يفدون به أنفسهم، ولا خدم ولا حراس يحجزون عنهم، ولا نسب ولا قرابة تنفعهم، فأنت لا تتخذ من مخالفات الناس دليلاً وسلمًا لمعصية الله، ولكن عليك بالوفاء بما عاهدت غيرك عليه، وإن كان غيرك يخالف ذلك فليس لك أن تخالف أنت.

---

(١) صحيح: مسلم (١٠١٥) والترمذى (٢٩٨٩) وأحمد (٢/ ٣٢٨) والدارمى (٢/ ٣٠٠) وعبد الرزاق فى مصنفه (٤/ ٨٨٣٩).

الحديث الرابع والعشرون:

(يعمد أحدكم إلى جمرة فيجعلها فى يده)

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى خاتمًا من ذهب فى يد رجل، فنزعه فطرحه وقال:

«يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِه».

فَقِيلَ لِلرَّجُلِ، بَعْدَمَا ذَهَبَ رَسُولُ الله ﷺ: خُذْ خَاتَمَكَ انْتَفِعْ بِهِ. قَالَ: لاَ وَالله لاَ آخُذُهُ أَبَداً، وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ الله ﷺ[1].

الشرح:

لا يجوز لرجل أن يلبس خاتمًا من ذهب، ولا أن يلبس قلادة من ذهب، ولا أن يلبس ثيابًا فيها أزرة من ذهب، ولا غير ذلك، يجب أن يجتنب الذهب كله، وذلك أن الذهب إنما يلبسه من يحتاج إلى الزينة والتجمل، كالمرأة تتجمل لزوجها، حتى يرغب فيها.

قال الله عز وجل: ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾. (الزخرف: ١٨)

يعنى النساء، يتربين فى الحلية وينشأن عليها: ﴿ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ أى: عيبة لا تفصح، على كل حال: الذهب يحتاج إليه النساء للتجميل للأزواج، والرجل ليس بحاجة إلى ذلك، الرجل يُتجمل له، ولا يتجمل لغيره، اللهم إلا الرجل فيما بينه وبين زوجه، كلٌ يتجمل للآخر، لما فى ذلك من الألفة، ولكن مهما كان فإن الرجل لا يجوز له أن يلبس الذهب بأى حال من الأحوال.

وأما لباس الفضة فلا بأس به، يجوز أن يلبس الرجل خاتمًا من فضة، ولكن بشرط أن لا يكون هناك عقيدة فى ذلك، كما يفعله بعض الناس الذين اعتادوا عادات النصارى فى مسألة الدبلة، التى يلبسها البعض عند الزواج.

الدبلة: يقولون إن النصارى إذا أراد الرجل منهم أن يتزوج، جاء إليه القسيس، بمنزلة العالم عند المسلمين، وأخذ الخاتم ووضعه فى أصابعه: إصبع بعد إصبع، حتى

---

(١) صحيح:أخرجه مسلم (٦/ ١٤٩) وابن حبان فى صحيحه (١/ ١٥٠) والطبرانى (٣/ ١٥٠/ ٢٠١).

ينتهى إلى ما يريد ثم يقول: هذا الرباط بينك وبين زوجتك(١)، فإذا لبس الرجل هذه الدبلة معتقدًا ذلك، فهو تشبه بالنصارى، مصحوب بعقيدة باطلة، فلا يجوز للرجل أن يلبس هذه الدبلة، أما لو لبس خاتمًا من غير عقيدة، فإن هذا لا بأس به، وليس التختم من الأمور المستحبة، بل هو من الأمور التى دعت الحاجة إليها ففعلت، وإلا فلا تفعل، بدليل أن الرسول ﷺ كان لا يلبس خاتمًا.

لكنه لما قيل له: إن الملوك والرؤساء لا يقبلون الكتاب إلا بختم، اتخذ خاتمًا نقش فى فصه: «محمد رسول الله» حتى إذا انتهى من الكتاب ختمه بهذا الخاتم.

وفى هذا الحديث:

دليل على استعمال الشدة فى تغيير المنكر إذا دعت الحاجة إلى ذلك، لأن النبى ﷺ لم يقل له: إن الذهب حرام فلا تلبسه، أو فاخلعه، بل هو بنفسه خلعه وطرحه فى الأرض.

ومعلوم أن هناك فرقًا بين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وبين تغيير المنكر، لأن تغيير المنكر يكون من ذى سلطة قادر، مثل الأمير، ومن جعل له تغييره، ومثل الرجل فى أهل بيته، والمرأة فى بيتها، وما أشبه ذلك، فهذا له السلطة أن يغير بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه.

أما الأمر بالمعروف فهو واجب بكل حال، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب، بكل حال، لأنه ليس فيه تغيير، بل فيه أمر بالخير ونهى عن الشر، وفيه أيضًا دعوة إلى الخير وإلى المعروف وإلى ترك المنكر، فهذه ثلاث مراتب: دعوة، وأمر ونهى، وتغيير.

---

(١) يرجع ذلك إلى عادة قديمة عندما كان العروس يضع الخاتم على رأس إبهام العروس اليسرى، ويقول: باسم (الآب) ثم ينقله واضعًا له على رأس السبابة ويقول: باسم (الابن) ثم يضعه على رأس الوسطى ويقول: وباسم (الروح القدس) وعندما يقول آمين يضعه أخيرًا فى البنصر حث يستقر، وقد وجه سؤال إلى مجلة «المرأة» التى تصدر فى لندن، فى عدد (١٩ آذار ١٩٦٠) (ص٨) وأجابت عنه «أنجلا تابوت» محررة قسم هذه الأسئلة، والسؤال هو: لماذا يوضع الخاتم الزواج فى بنصر اليد اليسرى؟ والجواب: يقال: إنه يوجد عرق فى هذه الأصبع يتصل مباشرة بالقلب.

أما الدعوة:

فمثل أن يقوم الرجل خطيبًا فى الناس، يعظهم ويذكرهم، ويدعوهم إلى الهدى.

وأما الأمر:

فإنه يأمر أمرًا موجهًا إلى شخص معين، أو إلى طائفة معينة، يا فلان احرص على الصلاة، واترك الكذب، اترك الغيبة وما أشبه ذلك.

أما التغيير:

فأن يغير هذا الشيء ويزيله من المنكر إلى المعروف، كما صنع النبى ﷺ حين نزع الخاتم من صاحبه نزعًا، وطرحه على الأرض طرحًا.

وفيه أيضًا: دليل على جواز إتلاف ما يكون به المنكر، لأنه الرسول ﷺ طرحه لما نزعه من يده، ولم يقل له: خذه وأعطه أهلك مثلاً، ولهذا كان من فقه هذا الرجل أنه لما قيل له: خذ خاتمك، قال: لا آخذ خاتمًا طرحه النبى ﷺ، لأنه فهم أن هذا من باب التعزير، وإتلافه عليه، لأنه حصلت به المعصية.

والشى الذى تحصل به المعصية أو ترك الواجب، لا حرج على الإنسان أن يتلفه، انتقامًا من نفسه بنفسه، كما فعل نبى الله سليمان عليه السلام حين عرضت عليه الخيل الجياد، ولهى بها حتى غربت الشمس، فاشتغل بها عن صلاة العصر ففاتته، ثم دعا بها سيدنا سليمان عليه السلام، وجعل يضربها ويعقرها ويقطع أعناقها، كما قال تعالى: ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾ (سورة ص: ٣٣) أتلفها انتقامًا من نفسه، لرضى الله، عز وجل.

فإذا رأى الإنسان أن شيئًا من ماله ألهاه عن طاعة الله، وأراد لأن يتلفه انتقامًا من نفسه وتعزيرًا لها، فإن ذلك لا بأس به.

وفى هذا الحديث:

دليل على أن لبس الذهب موجب للعذاب بالنار ــ والعياذ بالله ــ لقوله ﷺ: «يعمد أحدكم إلى جمرة من النار فيضعها فى يده».

فإن الرسول ﷺ جعل هذا جمرة من نار، يعنى يعذب بها يوم القيامة، وهو عذاب جزئى، أى: على بعض البدن، على الجزء الذى حصلت به المخالفة.

ونظيره قوله ﷺ فيمن جر ثوبه أسفل من الكعبين، قال: «ما أسفل من الكعبين ففى النار»(١) ونظيره أيضًا حين قصَّر الصحابة فى غسل أرجلهم، فقال النبى ﷺ: «ويل للأعقاب من النار»(٢).

فهذه ثلاثة نصوص من السنة كلها فيها إثبات أن العذاب بالنار قد يكون على جزء معين من البدن، وفى القرآن أيضًا من ذلك كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ (التوبة: ٣٥).

مواضع معينة، فالعذاب كما يكون عامًّا على جميع البدن، قد يكون خاصًّا ببعض أجزائه وهو ما حصلت به المخالفة.

ومن فوائد هذا الحديث أيضًا:

بيان كمال صدق الصحابة فى إيــمانهم، فإن الرجل لما قيل له: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا آخذ خاتمًا طرحه النبى ﷺ، وذلك من كمال إيــمانه ﷺ ولو كان ضعيف الإيمان لأخذه وانتفع به ببيع أو بإعطائه أهله أو ما أشبه ذلك.

ومن فوائد هذا الحديث أيضًا:

أن الإنسان يستعمل الحكمة فى تغيير المنكر، فهذا الرجل كما ترون استعمل معه النبى ﷺ شيئًا من الشدة، لكن الأعرابى الذى بال فى المسجد لم يستعمل معه النبى ﷺ الشدة، ولعل ذلك لأن هذا الذى لبس الخاتم الذهب علم النبى ﷺ أنه كان عالمًا بالحكم والتحريم، ولكنه متساهل، بخلاف الأعرابى، فإنه كان جاهلاً لا يعرف، جاء ووجد هذه الفسحة فى المسجد فجعل يبول، يحسب نفسه أنه فى البر!!.

ولما قام إليه الناس يزجرونه، نهاهم النبى ﷺ عن ذلك.

وكذلك استعمل النبى ﷺ اللين مع معاوية بن الحكم السلمى حين تكلم فى الصلاة، وكذلك مع الرجل الذى جامع زوجته فى نهار رمضان، فلكل مقام مقال.

فعليك يا أخى المسلم أن تستعمل الحكمة فى كل ما تفعل وكل ما تقول، فإن الله تعالى يقول فى كتابه: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة: ٢٦٩) نسأل الله يجعلنا ممن أوتى الحكمة، ونال بها خيرًا كثيرًا.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (١/ ١٤٣) ومسلم (١/ ١١٤) وأبو داود (٦/ ٢٤) والنسائى (١/ ٧٨) وابن ماجه (١/ ١٥٤) وأحمد (٢/ ٢٥٥) والطبرانى (٣/ ١٣٨/ ٢).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (١/ ١٤٣) ومسلم (١/ ٢١٤) وأبو داود (١/ ٢٤) والنسائى (١/ ٧٨) وابن ماجه (١/ ١٥٤) وأحمد (٢/ ١٦٤).

الحديث الخامس والعشرون:

(ويحك! قطعت عنق صاحبك)

عن أبى بكرة[١] ﷺ أن رجلاً ذكر عند النبى ﷺ، فأثنى عليه رجل خيرًا، فقال النبى ﷺ:

«وَيحك، قَطعتَ عُنقَ صاحبك ــ يقوله مِراراً ــ إن كان أحدُكم مادحاً لا مَحالةَ فليَقُل: أحسبُ كذا وكذا، إن كان يَرَى أنه كذلك، والله حَسيبهُ، ولا يُزكى على الله أحداً». قال وُهَيبٌ عن خالد «ويلك»[٢].

الشرح: قوله: «ويحك قطعت عنق صاحبك» يعنى كأنك ذبحته بسبب مدحك إياه، لأن ذلك يوجب أن هذا الممدوح يترفع ويتعالى، وقد أمر النبى ﷺ أن يحثى التراب فى وجوه المداحين، يعنى إن كان هذا الإنسان معروفًا ما جلس مجلسًا أمام أحد له جاه وشرف إلا امتدحه، هذا مداح، والمداح غير المادح.

المادح هو: الذى يسمع منه مرة بعد أخرى، لكن المداح كلما جلس عند إنسان كبير أو أمير أو قاضٍ أو عالم أو ما أشبه ذلك قام يمدحه، هذا حقه أن يحثى فى وجهه التراب[٣]، لأن رجلاً امتدح عثمان ﷺ فقام المقداد، وأخذ الحصباء ونفضها فى وجه

---

(١) نفيع بن الحارث الثقفى أبو بكرة: صحابى من أهل الطائف قيل له «أبو بكرة» لأنه تدلى ببكرة من حصن الطائف إلى النبى ﷺ وهو ممن اعتزل الفتنة يوم الجمل، ويوم صفين، توفى بالبصرة سنة (٥٢هـ) وله فى كتب الحديث (١٣٢) حديثًا، انظر ترجمته فى طبقات ابن سعد (٣/ ١/ ٢٧) «المنتظم» (٥/ ٢٤٧).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٢٦٦٢) ومسلم (٣٠٠٠).

(٣) فائدة: قال الشيخ العلامة، ابن عثيمين، رحمه الله: فى بيان مدح الإنسان هل ينبغى للإنسان أن يمدح أخاه بما هو فيه أو لا؟ وهذا له أحوال:

الحال الأول: أن يكون فى مدحه خيرًا وتشجيعًا له الأوصاف الحميدة والأخلاق الفاضلة، فهذا لا بأس به، لأنه تشجيع لصاحبه، فإذا رأيت منه رجل الكرم والشجاعة، وبذل النفس والإحسان إلى الغير، فذكرته بما هو فيه أمامه من أجل أن تشجيعه وتثبته حتى يستمر على ما هو عليه، فهذا حسن وهو داخل فى قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ (المائدة: ٢).

والثانى: أن تمدحه لتبين فضله بين الناس وينتشر ويحترمه الناس، كما فعل النبى ﷺ مع أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، أما أبو بكر فإن النبى ﷺ كان يتحدث ذات يوم فقال: «من أصبح منكم اليوم صائمًا؟» فقال أبو بكر: أنا، فقال: «من تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا، فقال: «من تصدق بصدقة؟» فقال أبو بكر: أنا، فقال: «فمن منكم عاد مريضًا؟» قال أبو بكر: أنا، فقال النبى ﷺ: «ما اجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة» وكذلك لما حدث أنه من جر ثوبه خيلاء لن ينظر الله إليه، قال أبو بكر: يا رسول الله، إن أحد شقى إزارى يسترخى علىَّ إلا أن اتعاهده، فقال ﷺ: «إنك لست ممن يصنع ذلك خيلاء» وقال ﷺ لعمر: «إن الشيطان ما سلكت فجًا إلا سلك غير ذلك» يعنى إذا سلكت طريقًا فإن الشيطان يهرب منه، ويذهب إلى طريق آخر، كل هذا البيان فضل أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، هذا لا بأس به.

الثالث: أن يمدح غيره ويغلو فى إطرائه ويصفه بما لا يستحق فهذا محرم، وهو كذب وخداع، مثل أن يذكر رجلاً أميرًا أو وزيرًا أو ما أشبه ذلك، ويطريه ويصفه بما ليس فيه من الصفات الحميدة، فهذا حرام عليك، وهو أيضًا ضرر على الممدوح، الرابع: أن يمدحه بما هو فيه، لكن يخشى أن الإنسان الممدوح يغتر بنفسه ويزهو بنفسه ويترفع على غيره، فهذا محرم لا يجوز.

المداح، فسأله عثمان لم فعل ذلك؟ قال: إن النبى ﷺ قال: «إذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب»[١] وعلى كل حال فالذى ينبغى للإنسان ألا يتكلم إلا بخير، لأن النبى ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[٢].

والله الموفق.

الحديث السادس والعشرون:

(يذهب الصالحون وتبقى حثالة)

عن مرداس الأسلمى[٣] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«يَذهَب الصالحون الأول فالأول، ويَبقى حثالة كحثالةِ الشَّعير أو التمر لا يباليهم الله بالةً»[٤].

الشرح: أخبر النبى ﷺ: «يذهب الصالحون الأول فالأول، ثم يبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر، لا يبالى الله بهم بالاً» يعنى لا يبالى بهم ولا ينزل عليهم الرحمة، فالصالحون يذهبون الأول فالأول، وهذا الحديث يشبه حديث أنس بن مالك ﷺ حين جاء الناس إليه يشكونه ما وجدوا من الحجاج بن يوسف الثقفى، فأخبرهم أن النبى ﷺ قال: «لا يأتى على الناس زمان إلا وما بعده شر منه حتى تلقوا ربكم»[٥].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٨/ ١٢٨) وأبو داود (٤٧٨٣) والترمذى (٩/ ٢٣٩) وأحمد(٦/ ٥) وابن حبان (٥٧٤٠) وأبو نعيم فى «الحلية» (٤/ ٣٧٧).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (١٠/ ٤٤٥) ومسلم (٤٧) وأبو داود (٥١٥٤) والترمذى (٢٥٠٠) وأحمد (٢/ ٢٦٧) وابن المبارك فى «الزهد» (٣٦٨) وعبد الرزاق (١١/ ٧) والخرائطى فى مكارم الأخلاق (٢٢٦) والطحاوى (٤/ ٢٢) «مشكل الآثار» والطبرى فى الصغير (١/ ٢٦٢) وأبو نعيم فى «الحلية» (٨/ ٣٢٣) والبغوى (١٤/ ٣١٢) فى «شرح السنة».

(٣) مرداس الأسلمى: صحابى، شهد الحديبية، وبايع رسول الله ﷺ تحت شجرة، وهو قليل الحديث، ليس له فى البخارى إلا حديث واحد، ولا يعرف أحد روى عنه إلا قيس بن حازم، انظر ترجمته فى الاستيعاب (٥/ ٧١٠) والإصابة (٦/ ٢٧٤).

(٤) صحيح: أخرجه البخارى (٦٤٣٤) وأحمد (٤/ ١٩٣) والدارمى (٢/ ٣٠١) والبيهقى (١٠/ ١٢٢) والديلمى فى مسند الفردوس (٥/ ٤٢٨).

(٥) صحيح: أخرجه البخارى (٧٠٦٨).

فائدة مهمة جدًا: يتخذ بعض الناس من هذا الحديث تكأة للقعود عن العمل، ومحاولة الإصلاح والإنقاذ، مدعيًا أن الحديث يدل على أن الأمور فى تدهور دائم، وسقوط مستمر وهوى متتابع، من درك إلى أسفل منه، فهى لا تنتقل من سيئ إلى أسوأ، ولا من أسوأ إلا إلى أسوأ منه، حتى تقوم الساعة على شرار الناس، وهذا الفهم السقيم للحديث يرده أن بعض الأزمنة تكون فى الشر دون التى قبلها، ولو لم يكن فى ذلك إلا زمن عمر بن عبد العزيز، وهو بعد زمن الحجاج ــ الذى عمت الشكوى منه ــ يسير، وقد اشتهر الخير =

ولذلك تجد الناس يترددون كل عام عن العام الذى قبله: «يذهب الصالحون الأول فالأول» فيما سبق تجد الناس يتهجدون فى الليل، يصومون فى النهار، يتصدقون من أقواتهم، يؤثرون على أنفسهم، أما الآن فتجد الناس قد تغيروا من سنة إلى أخرى إلى أردى من قبل، سهروا فى الليل على غير طاعة الله، ونوم فى النهار، أو لهو أو بيع وشراء، يشتمل على الغش والكذب والخيانة ـــ والعياذ بالله ـــ فالناس إلى هذا، لكن مع ذلك فى الناس خير لا شك، يوجد أناس ـــ ولله الحمد ـــ على دين الله مستقيمين على ما يبدو، لكن العبرة بالعموم والشمول.

ولهذا أخبر النبى ﷺ كما فى الحديث الثالث الذى رواه البخارى: إذا أنزل بهم العذاب شمل الجميع، كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (الأنفال: ٢٥).

لكنهم يبعثون يوم القيامة على نيتهم، كلٌ على ما هو عليه.

ولذلك يجب الحذر من أن يكون الإنسان من الحثالة التى كحثالة الشعير أو التمر، وأن يحرص على أن يستقيم على أمر الله حتى لو كان الناس قد هلكوا، فإنهم ـــ إن أصيبوا بالعذاب ـــ فإنه يبعث كل إنسان على نيته.

= الذى كان فى زمن عمر بن عبد العزيز، بل قيل: إن الشر اضمحل فى زمانه ـــ فضلاً عن أن يكون شرًا من الذى قبله.

وقد أجاب العلماء عن هذا الحديث بعدة أجوبة، **منها:** حمل الحديث على الأكثر الأغلب، وهذا قول الحسن البصرى، فقد سئل عن عمر ابن عبد العزيز بعد الحجاج، فقال: لا بد للناس من تنفيس.

قال ابن مسعود ﷺ: «لا يأتى على الناس زمان إلا هو أشر من الذى كان قبله، أما إنى لا أعنى أميرًا خيرًا من أمير، ولا عامًا خيرًا من عام، ولكن علماؤكم وفقاؤكم يذهبون، ثم لا تجدون منهم خلفًا، ويعنى قوم يفتون برأيهم» وفى لفظ عنه: «فيثلمون الإسلام ويهدمونه».

ورجح الحافظ فى الفتح تفسير ابن مسعود لمعنى الخيرية والشرية هنا، قائلاً: وهى أولى بالاتباع.

فالنصوص تدل على أن فى الغيب أدوار الإسلام ترتفع فيها رايته وتعلو كلمته، والتاريخ يثبت أنه قد جاءت فترات ركود وجمود فى العالم أعقبها أزمنة حركة وتجديد، ويكفى أن نذكر مثلاً من ظهر فى القرن الثامن من العلماء والمجددين ـــ بعد سقوط الخلافة الإسلامية فى بغداد، وتدهور الأوضاع فى القرن السابع ـــ مثل: شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وسائر تلاميذه فى الشام، والشاطبى فى الأندلس، وابن خلدون فى المغرب وغيرهم ممن ترجم لهم ابن حجر فى كتابه «الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة».

وفى العصور التى تلت ذلك تجد مثل ابن حجر، والسيوطى فى مصر، وابن الوزير والشوكانى والصغانى فى اليمن، والدهلوى فى الهند، وابن عبد الوهاب فى نجد، وهذا ما جعل الإمام ابن حبان فى «صحيحه» يرى أن حديث أنس ليس على عمومه، مستدلاً بالأحاديث الواردة فى المهدى، وأنه يملأ الأرض عدلاً، بعد أن ملئت جورًا.

وأرجح التفسيرات لهذا الحديث ما ذكره الحافظ فى «الفتح» بقوله: «ويحتمل أن يكون المراد بالأزمنة المذكورة أزمنة الصحابة، بناء على أنهم المخاطبون بذلك فيختص لهم، فأما من بعدهم فلم يقصد فى الخير المذكور، لكن الصحابى فهم التعميم، فلذلك أجاب من شكا إليه الحجاج بذلك وأمرهم بالصبر، وهم ـــ أو جلهم ـــ من التابعين».

الحديث السابع والعشرون:

(رءوسهن كأسنمة البخت المائلة)

عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاَتٌ مَائِلاَتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ. لاَ يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا. وَإِنَّ رِيحَهَا لَتُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»(١).

الشرح:

الله سبحانه وتعالى خلق الذكور والإناث، وجعل لكل منهما مزية، الرجال يختلفون عن النساء فى الخلقة والخلق والقوة والدين وغير ذلك، والنساء كذلك يختلفن عن الرجال، فمن حاول أن يجعل الرجال مثل النساء أو أن يجعل النساء مثل الرجال فقد حاد الله تعالى فى قدره وشرعه، لأن الله سبحانه وتعالى له حكمته فيما خلق وشرع، ولهذا جاءت النصوص بالوعيد الشديد باللعن وهو الطرد والإبعاد عن رحمة الله لتشبه الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل، فمن تشبه بالنساء فهو ملعون على لسان النبى ﷺ، ومن تشبهت بالرجال فهى ملعونة على لسان النبى ﷺ كما فى حديث ابن عباس(٢) رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «لعن المخنثون من الرجال».

وفى لفظ «المتشبهون من الرجال بالنساء» وهؤلاء المخنثون فى هذا الحديث: «ولعن المترجلات من النساء» يعنى المتشبهات بالرجال.

واللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله، فإذا تشبه الرجل بالمرأة فى لباسه لا سيما إذا كان محرمًا كالحرير والذهب، أو تشبه بالمرأة فى كليهما، وصار يغير

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٣/ ١٦٨٠) وأحمد (٢/ ٢٥٦).

(٢) أخرجه الإمام البخارى (٥٨٨٥) وأحمد (١/ ٣٣٩) وأبو داود (٤٠٩٧) وابن ماجه (١٦٠٤) والترمذى (٢٧٨٤) جميعًا من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال» وفى رواية للبخارى (٥٨٨٦) بلفظ: «لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء».

لسانه فى الكلام، حتى كأنما تتكلم امرأة أو تشبه بالمرأة فى مشيتها أو فى غير ذلك مما يختص بالمرأة، فإنه ملعون على لسان أشرف الخلق.

ونحن نلعن من لعنه رسول الله ﷺ فالمتشبه من الرجال بالنساء ملعون، كذلك المرأة إذا تشبهت بالرجال فهى ملعونة، ولو صارت تتكلم كما يتكلم الرجل، أو جعلت لها عمامة كما يلبس الرجل أو جعلت ثيابها كثياب الرجل، ومن ذلك البنطلون، فإن لباس البنطلون خاص بالرجال، والنساء عليهن أن يلبسن الثياب الساترة والبنطلون كما نعلم جميعًا، يكشف المرأة، تتبين أفخاذها وسوقها ـ يعنى سيقانها ـ وما أشبه ذلك، فلهذا نقول: لا يحل للمرأة أنه تلبس البنطلون حتى عند زوجها، لأنه ليست العلة الصورة، العلوة التشبه.

فإذا تشبهت المرأة بالرجال فهى ملعونة على لسان محمد ﷺ لقوله: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس» قال العلماء: هؤلاء هم الشرطة الذين يضربون الناس بغير حق «معهم سياط كأذناب البقر» يعنى: سوط طويل، وله ريشة يضربون بها الناس بغير حق، أما بحق فإنه يضرب المعتدى ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ ﴾ (النور: ٢).

لا ترأفوا بهما، اجلدوهما تمامًا، لكن من ضرب الناس بغير حق فهو من أصناف أهل النار ـ والعياذ بالله.

الثانى: «نساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسمنة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا».

هؤلاء أيضًا النساء كاسيات عاريات، قيل: كاسيات بثيابهم كسوة حسية عاريات من التقوى، لأن الله تعالى قال: ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (الأعراف: ٢٦).

وعلى هذا فيشمل هذا الحديث كل امرأة فاسقة فاجرة، وإن كان عليها ثياب فضفاضة، لأن المراد بالكسوة الكسوة الظاهرة كسوة الثياب، عاريات من التقوى، لأن العارى من التقوى لا شك أنه عار، كما قال تعالى: ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾

وقيل: كاسيات عاريات أى عليهن كسوة حسية لكن لا تستر، إما بضيقها وإما لخفتها تكون رقيقة ما تستر، وإما لقصرها، كل هذا يقال للمرأة التى تلبس ذلك إنها كاسية عارية.

وقيل: مميلات لغيرهن، ولعل اللفظ يشمل المعنيين، لأن القاعدة أن النص إذا كان يحتمل معنيين ولا مرجح لأحدهما فإنه يُحمل عليهما جميعًا، وهنا لا مرجح ولا منافاة لاجتماع المعنيين فيكون لهذا وهذا[1].

وأما قوله: «مائلات» فمعناه منحرفات عن الحق وعما يجب عليهن من الحياء والحشمة، تجدها فى السوق تمشى مشية الرجل بقوة وجلد، حتى إن بعـض الرجـال لا يستطيع أن يمشى هذه المشية لكنها هى تمشى كأنها جندى من شدة مشيتها وضربها بالأرض وعدم مبالاتها.

كذلك أيضًا تضحك إلى زميلاتها معها، تضحك وترفع الصوت على وجه يثير الفتنة، وكذلك تقف على صاحب الدكان تماكثه فى البيع والشراء وتضحك معه، وربما تمد يدها إليه، لأجل أن يضع عليها ساعة اليد وما أشبه ذلك من المفاسد والبلاء، وهؤلاء مائلات لا شك أنهن مائلات عن الحق، نسأل الله العافية.

آراء بعض العلماء:

وقال بعض العلماء: بل هذه المرأة تضع على رأسها عمامة كعمامة الرجل حتى يرتفع الخمار ويكون كأنه سنام إبل من البخت، وعلى كل حال فهذه تجمل رأسها بتجميل يفتن، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها ـ نعوذ بالله ـ يعنى: لا يدخلن الجنة ولا يقربنها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا، من مسيرة سبعين عامًا أو أكثر.

---

(١) قال الإمام الذهبى فى «الكبائر» (ص١٣٩) قوله: «كاسيات» أى من نعم الله عاريات من شكرها، وقيل: هو أن تلبس المرأة ثوبًا رقيقًا يصف لون بدنها، ومعنى «مائلات» قيل: عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه «مميلات» أى يعلمن غيرهن الفعل المذموم، وقيل: «مائلات» متبخترات مميلات لأكتافهن، وقيل «مائلات» يمتشطن المشطة الميلاء وهى مشطة البغايا، و «مميلات» يمشطن غيرهن تلك المشطة «رءوسهن كأسنمة البخت»: أى يكبرها ويعظمنها بلف عصابة أو عمامة أو نحوهما.

ومع ذلك لا تقرب هذه المرأة الجنة ــ والعياذ بالله ــ لأنها خرجت عن الصراط فهى كاسية عارية مميلة مائلة على رأسها ما يدعو إلى الفتنة والزينة، وفى هذا دليل على تحريم هذا النوع من اللباس، لأنه توعد عليه بالحرمان من الجنة، وهذا يدل على أنه من الكبائر(١).

الحديث الثامن والعشرون:

(الرجل السمين لا يزن جناح بعوضة)

عن أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ:

«إنه ليأتى الرجلُ العظيمُ السمين يوم القيامةِ لا يَزِنُ عندَ الله جناحَ بعوضة.

وقال: اقرأوا ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴾ (الكهف: ١٠٥).

وعن يحيى بن بُكير عن المغيرة بن عبدِ الرحمن عن أبى الزناد.. مثله»(٢).

الشرح:

هذا الحديث فى باب المستضعفين والفقراء من المسلمين، وذلك لأن الغالب أن السمنة إنما تأتى من البطنة، أى من كثرة الأكل، وكثرة الأكل تدل على كثرة المال، وكثرة الأكل تدل على كثرة المال والغنى.

والغالب على الأغنياء البطر، والأشر، وكفر النعمة، حتى إنهم يوم القيامة يكونون بهذه المثابة، يؤتى بالرجل العظيم السمين، يعنى كثير اللحم والشحم، عظيم كبير الجسم، لا يزن عند الله يوم القيامة جناح بعوضة، والبعوضة معروفة من أشد الحيوانات امتهاناً وأهونها وأضعفها، وجناحها كذلك.

وفى هذا الحديث: إثبات الوزن يوم القيامة، وقد دل على ذلك كتاب الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن

---

(١) قال ابن حجر الهيثمى فى زواجر (٢/ ٢٩٧) ذكر هذا من الكبائر ظاهر لما فيه من الوعيد الشديد، ولم أر من صرح بذلك إلا أنه معلوم بالأولى مما مر فى تشبههن بالرجال.

قال الذهبى: ومن الأفعال التى تلعن المرأة عليها إظهار زينتها كذهب أو لؤلؤ من تحت نقابها، وتطيبها بطيب كمسك إذا خرجت، وكذا لبسها عند خروجها كل ما يؤدى إلى التبهرج، كمصبوغ براق وإزار حرير، وتوسعة كم وتطويله، فكل ذلك من التبهرج الذى يمقت الله عليه فاعله فى الدنيا والآخرة، ولهذه القبائح الغالبة عليهن قال عنهن النبى ﷺ: «اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء». اهـ. أخرجه البخارى (٥٧٨٨) ومسلم (٣/ ١٦٥٣).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٤٧٢٩) ومسلم (٢٧٨٥).

كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (الأنبياء: ٤٧) وقال جل وعلا: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾.
(الزلزلة: ٧، ٨)

وقال النبى ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة»[١]، فالوزن يوم القيامة وزن عدل ليس فيه ظلم، يجازى فيه الإنسان على حسب ما عنده من الحسنات والسيئات.

قال أهل العلم: فمن رجحت حسناته على سيئاته فهو من أهل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته فهو من أهل النار، ومن تساوت حسناته مع سيئاته فهو من أهل الأعراف، الذين يكونون بين الجنة والنار لمدة، على حسب ما يشاء الله عز وجل، وفى النهاية يدخلون الجنة.

ثم إن الوزن وزن حسن بميزان له كفتان، توضع فى إحداهما السيئات، وفى الأخرى الحسنات، وتثقل الحسنات وتخف السيئات إذا كانت الحسنات أكثر، والعكس بالعكس، ثم ما الذى يوزن؟ ظاهر هذا الحديث أن الذى يوزن الإنسان، وأنه يخف ويثقل بحسب أعماله.

وقال بعض العلماء: بل الذى يوزن صحائف الأعمال، توضع صحائف الأعمال، توضع صحائف السيئات فى كفة، وصحائف الحسنات فى كفة، وما رجح فالعمل عليه.

وقيل: بل الذى يوزن العمل، لأن الله تـعالى قال: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ (الزلزلة: ٧).

فجعل الوزن للعمل، وقال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (الأنبياء: ٤٧).

وقال النبى ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[٢].

فقوله ﷺ: «كلمتان ثقيلتان فى الميزان» يدل على أن الذى يوزن هو العمل، وهذا هو ظاهر القرآن الكريم، وظاهر السنة، وربما يوزن هذا وهذا، أى توزن الأعمال وتوزن صحائف الأعمال.

---

(١) **صحيح:** أخرجه البخارى (١٠/ ٤٦٣) ومسلم (١٠١٦) وأحمد (٤/ ٢٥٦) والدارمى (١/ ١٩٠) والطبرانى (١٧/ ٨٢).

(٢) **صحيح:** أخرجه البخارى (١١/ ٢٠٦) ومسلم (٢٦٩٤) والترمذى (٣٤٦٧) وابن ماجه (٣٨٠٦) وأحمد (٢/ ٢٣٢) وأبو يعلى (٦٩٦) وابن أبى شيبة (١٠/ ٢٨٩) والبغوى فى شرح السنة (٥/ ٤٢).

وفى هذا الحديث: التحذير من كون الإنسان لا يهتم إلا بنفسه، أى بتنعيم جسده، والذى ينبغى للعاقل أن يهتم بتنعيم قلبه، ونعيم قلب الإنسان بالفطرة: وهى التزام دين الله عز وجل، وإذا نعم القلب نعم البدن ولا عكس، قد ينعم البدن ويؤتى الإنسان من الدنيا ما يؤتى من زهرتها، ولكن قلبه فى جحيم ــ والعياذ بالله.

وإذا شئت أن تتبين هذا فاقرأ قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٧).

لم يقل فلننعمن أبدانهن، بل قال: فلنحيينه حياة طيبة، وذلك بما يجعل الله فى قلوبهم من الأخس، وانشراح الصدر وطمأنينة القلب، وغير ذلك، حتى إن بعض السلف قال: «لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف»[١] يعنى من انشراح الصدر، ونور القلب والطمأنينة والسكون.

أسأل الله أن يشرح صدورنا وقلبى وقلوبكم للإسلام، وبنورها بالعلم والإيمان، إنه جواد كريم.

الحديث التاسع والعشرون:

(من عال جاريتين أنا وهو كهاتين)

عن أنس ﷺ عن النبى ﷺ قال:

«مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى يُدْرِكَا دَخَلْتُ أَنَا وَهُوَ الْجَنَّةَ كَهَاتَيْنِ»[٢].

---

(١) إشارة لما جاء فى الحلية (٨/ ٣٧١) و «الزهد الكبير» (١٠٨) واللفظ له: «عن إبراهيم بن بشار الصوفى قال: خرجت أنا وإبراهيم بن أدهم وأبو يوسف الغولى وأبو عبد الله السنجارى، زيد الإسكندرية، فمررنا بنهر يقال له: نهر الأردن، فقعدنا نستريح، وكان مع أبى يوسف كسيرات يابسات، فألقاهن بين أيدينا فأكلنا والحمد لله، فقمت أسعى أتناول ماء لإبراهيم فبادر إبراهيم فدخل النهر حتى بلغ الماء ركبتيه، فقال بكفيه فى الماء ملأهما، ثم قال: باسم الله، وشرب، فقال: الحمد لله، ثم إنه خرج من النهر، فمد رجليه، قال: يا أبا يوسف، لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش وقلة التعب، فقلت له: يا أبا إسحاق، طلب القوم الراحة والنعيم، فأخطأوا الطريق المستقيم، فتبسم ثم قال: من أين لك هذا الكلام».

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٣) والبخارى فى الأدب المفرد (٨٦٤) والترمذى (١٩١٥) وأحمد (٣/ ١٤٧) وأبو يعلى فى مسنده (١/ ١٧٠) والحاكم (٤/ ١٧٧).

الشرح:

أما هذا الحديث ففيه: فضل عول الإنسان للبنات، وذلك أن البنت قاصرة ضعيفة مهينة، والغالب أن أهلها لا يأبهون بها، ولا يهتمون بها، فلذلك قال النبى ﷺ: «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين» وضم أصبعيه السبابة والوسطى، والمعنى أن يكون رفيقًا لرسول الله ﷺ فى الجنة إذا عال الجاريتين، يعنى الأنثيين من بنات أو اخوات أو غيرهما: أى: إنه يكون مع النبى ﷺ فى الجنة.

والعول فى الغالب يكون بالقيام بمؤونة البدن، من الكسوة والطعام والشراب والمسكن والفراش ــ ونحو ذلك ــ وكذلك يكون فى غذاء الروح بالتعليم والتهذيب والتوجيه والأمر بالخير والنهى عن الشر وما إلى ذلك.

ويؤخذ من هذا الحديث: أنه ينبغى للإنسان أن يهتم بالأمور التى تقربه إلى الله، لا بالأمور الشكليات، أو مراعاة ما ينفع فى الدنيا فقط، بل يلاحظ هذا ويلاحظ ما ينفع فى الآخرة أكثر وأكثر، وقوله: «حتى تبلغا» يعنى: حتى تصلا سن البلوغ، وهو خمس عشرة سنة أو غير ذلك من علامات البلوغ فى المرأة.

وعلامات البلوغ فى المرأة أربع، وهى:

الأولى: تمام خمس عشرة سنة.

الثانية: نبات العانة.

الثالثة: الاحتلام.

الرابعة: الحيض، فإذا حاضت ولو كان لها أقل من خمس عشرة سنة فهى بالغة.

الحديث الثلاثون:

(أنا وكافل اليتيم هكذا)

حدّثنا عبد الله بن عبد الوهاب قال: حدَّثنى عبد العزيز بن أبى حازم قال: حدَّثنى أبى قال: سمعتُ سهل بن سعد[١] عن النبى ﷺ قال:

«أنا وكافلُ اليتيم فى الجنَّةِ هكذا. وقال بإصبَعَيه السَّبّابة والوُسطى»[٢].

الشرح:

قوله: «أنا وكافل اليتيم هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى، يعنى: بالأصبع السبابة والوسطى، والأصبع السبابة هى التى بين الوسطى والإبهام، وتسمى السبابة، لأن الإنسان يشير بها عند السب، فإذا سب شخصًا قال هذا وأشار بها.

وتسمى السباحة، لأن الإنسان يشير بها أيضًا عند التسبيح، ولهذا يشير الإنسان بها فى صلاته إذا جلس بين السجدتين ودعا: رب اغفر لى وارحمنى.

وكلما دعا رفعها، يشير إلى الله عز وجل، لأن الله فى السماء جل وعلا، وكذلك أيضًا يشير بها فى التشهد إذا دعا «السلام عليك أيها النبى، السلام علينا، اللهم صل على محمد، اللهم بارك على محمد»[٣].

فى كل جملة دعائية يشير بها إشارة إلى علو الله تعالى وتوحيده.

---

(١) هو سهل بن سعد الساعدى الأنصارى الخزرجى، أبو العباس، هو وأبوه صحابيان، كان اسمه حزنًا فسماه النبى ﷺ سهلاً، وكان عمره يوم توفى النبى خمس عشرة سنة، وعاش وطال عمره حتى أدرك الحجاج بن يوسف الثقفى، توفى سنة (٨٨هـ) وقد جاوز عمره المائة، انظر ترجمته فى «الاستيعاب» (٢/ ٦٦٤) «أسد الغابة» (٢/ ٣٣٦) و «المنتظم» (٦/ ٣٠٢) «الإصابة» (٢/ ٣٥٣٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٤٢٢) «تاريخ الإسلام» (٤/ ١١).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٥٣٠٤) ومسلم (٢٩٨٣) وأبو داود (٥١٥٠) والترمذى (١٩١٩) وأحمد (٥/ ٣٣٣) قال ابن بطال: حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبى ﷺ فى الجنة، ولا منزلة فى الآخرة أفضل من ذلك.

(٣) صحيح: أخرجه البخارى (٢/ ٣١١) ومسلم (١/ ٣٠١) وأبو داود (١/ ٢٥٤) والنسائى (٢/ ٢٣٧) وابن ماجه (١/ ٢٩٠) وأحمد (١/ ٣٧٦).

وفرج بينهما ﷺ، يعنى: قارن بينهما، وفرج يعنى: أن كافل اليتيم مع النبى ﷺ فى الجنة قريب منه، وفى هذا حث على كفالة اليتيم.

وكفالة اليتيم هى القيام بما يصلحه فى دينه ودنياه، وبما يصلحه فى دينه من التربية والتوجيه والتعليم، وما أشبه ذلك، وما يصلحه فى دنياه من الطعام والشراب والمسكن.

واليتيم حده البلوغ، فإذا بلغ الصبى زال عنه اليتم، وإذا كان قبل البلوغ فهو يتيم، هذا إن مات أبوه، وأما إذا ماتت أمه دون أبيه، فإنه ليس بيتيم.

الحديث الحادى والثلاثون:

(لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم الملّ)

عن أبى هريرة ؓ أن رجلاً قال:

«يَا رَسُولَ الله، إنَّ لِى قَرَابَةً، أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِى، وَأُحسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَى. وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَىَّ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ. وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ الله ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ، مَا دُمْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ»[1].

الشرح:

قول النبى ﷺ: «إن كنت» يعنى كما تقول: «فكأنما تسفهم المل» والمل: هو الرماد الحار، وتسفهم: يعنى تجعله فى أفواههم، والمعنى: أنك كانما ترغمهم بهذا الرماد الحار عقوبة لهم.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٥٨) والإمام أحمد (٢/ ٣٠٠) وتسفهم: بضم التاء وتشديد الفاء أى تطرح لهم سفوف الرماد، والظهير: المعين.

قال النووى: كأنك بفعلك ذلك تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الأذى، ولا شىء على هذا المحسن، بل ينالهم الإثم العظيم فى قطيعته وإدخالهم الأذى عليه.

وقيل معناه: إنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم فى أنفسهم بكثرة إحسانك، وقبيح فعلهم من الخزى والحقارة عند أنفسهم كمن يسف المل.

وفى النهاية (٤/ ٣٦١) لابن الأثير: المل والملة: الرماد الحار الذى يحمى ليدفن فيه الخبز لينضج، أراد: إنما تجعل الملة لهم سفوفًا يستفونه يعنى: أن عطاءك إياهم حرام عليهم، ونار فى بطونهم.

الحديث الثانى والثلاثون:

(ما أنا فى الدنيا إلا كراكب)

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:

نام رسول الله ﷺ على حصير، فقام وقد أثر فى جنبه، قلنا: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاء! فقال:

«مَالِى وَلِلدُّنْيَا، ما أَنَا فى الدُّنْيَا إلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»(١).

الشرح:

من الزهد فى الدنيا ما كان عليه النبى ﷺ من شظف العيش، وقلة ذات اليد، حيث كان ينام ﷺ على الحصير حتى يؤثر فى جنبه، فيقال له: ألا نجعل لك وطاء؟ يعنى فراشًا تطؤه وتنام عليه؟ فقال: «مَا لِى وَلِلدُّنْيَا، ما أَنَا فى الدُّنْيَا إلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا».

فالرسول ﷺ ليس له تطلع إلى الدنيا، بل كان ينفق ماله كله فى سبيل الله، ويعيش عيشة الفقراء.

الحديث الثالث والثلاثون:

(اليد العليا خير من اليد السفلى)

عن حكيم بن حزام ﷺ(٢) قال:

«سألتُ النبى ﷺ فأعطانى، ثم سألتهُ فأعطانى، ثم سألته فأعطانى، ثم قال: إن هذا المالَ خَضرةٌ حُلوة، فمن أخذَهُ بطيب نفس بوركَ له فيه، ومن أخذَه بإشرافِ نفسٍ لم يُبارك له فيه، وكان كالذى يأكلُ ولا يَشبَعُ. واليدُ العليا خيرٌ من اليدِ السُفلى».

---

(١) صحيح: أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٩١) والترمذى (٢/ ٦٠) وابن ماجه (٤١٠٩) وابن حبان (٢٥٢٦) وأبو يعلى (٥٢٩٢) فى مسنده والطيالسى (٢٧٧) وأبو نعيم (٢/ ١٠٢) فى الحلية، والحاكم (٤/ ٣١٠) والبيهقى فى الشعب (٧/ ٣١١) والطبرانى (١١٨٩٨) وصححه الألبانى فى الصحيحة (٢/ ٨٠٠).

(٢) هو حكيم بن حزام (أبو خالد) ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى، صحابى، قرشى، وهو ابن أخى السيدة خديجة بنت خويلد، أم المؤمنين، كان صديقًا للنبى ﷺ قبل البعثة وبعدها، وتوفى بالمدينة سنة (٣٨هـ) وروى له عن رسول الله ﷺ (٤٠) حديثًا، انظر ترجمته فى الإصابة (١/ ٢٤٩) «أسد الغابة» (٢/ ٤٠) «التاريخ الكبير» (٣/ ١١) «تهذيب الكمال» (٧/ ١٧٠) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٤٤) «البداية والنهاية» (٨/ ٦٨) «نزهة المتقين» (٢/ ١٣٠٤).

قال حكيم: فقلت: يا رسول الله، والذى بعثك بالحق، لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا.

فكان أبو بكر ﷺ يدعو حكيمًا ليعطيه العطاء، فيأبى أن يقبل منه شيئًا، ثم إن عمر ﷺ دعاه ليعطيه، فأبى أن يقبله، فقال: يا معشر المسلمين، أشهدكم على حكيم أنى أعرض عليه حقه الذى قسمه الله له فى هذا الفىء فأبى أن يأخذه، فلم يرزأ حكيم أحدًا من الناس بعد النبى ﷺ حتى توفى[(١)].

الشرح:

عن حكيم بن حزام ﷺ أنه سأل النبى ﷺ فأعطاه، أى: سأله مالاً فأعطاه، ثم سأله فأعطاه، ثم سأله فأعطاه.

وكان من هدى النبى ﷺ وكرمه وحسن خلقه أنه لا يرد سائلاً سأله شيئًا، فما سئل شيئًا عن الإسلام إلا أعطاه ﷺ، ثم قال لحكيم: «إن هذا المال خضر حلو».

خضر يسر الناظرين، حلو يسر الذائقين، فتطلبه النفس وتحرص عليه.

فكيف بمن أخذ بسؤال؟ يكون أبعد وأبعد، ولهذا قال النبى ﷺ، ثم قال لحكيم: «ما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك».

يعنى ما جاءك بإشراف نفس وتطلع وتشوف فلا تأخذه، وما جاءك بسؤال فلا تأخذه.

ثم قال النبى ﷺ لحكيم بن حزام: «اليد العليا خير من اليد السفلى» اليد العليا هى يد المعطى، واليد السفلى هى يد الآخذ، فالمعطى يده خير من يد الآخذ، لأن المعطى فوق الآخذ، فيده هى العليا، كما قال النبى ﷺ.

فأقسم حكيم بن حزام ﷺ بالذى بعث النبى ﷺ بالحق ألا يسأل أحدًا بعده شيئًا، فقال: «يا رسول الله، والذى بعثك بالحق لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا».

فتوفى الرسول ﷺ، وتولى الخلافة أبو بكر ﷺ، فكان يعطيه العطاء فلا يقبله، ثم توفى أبو بكر، فتولى عمر فدعاه ليعطيه فأبى، فاستشهد عمر ﷺ عليه، فقال: «اشهدوا أنى أعطيه من بيت مال المسلمين فلا يقبله» قال ذلك ﷺ لئلا يكون له حجة على عمر

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (١٤٧٢) ومسلم (١٠٣٥).

يوم القيامة بين يدى الله، وليتبرأ من عهدته أمام الناس، ولكن مع ذلك أصر حكيم ﷺ ألا يأخذ منه شيئًا حتى توفى.

الحديث الرابع والثلاثون:

(الحلال بين والحرام بين)

عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«الحَلالُ بَيِّنٌ، وَالحَرامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهما مُشْبَّهاتٌ لا يَعْلَمُها كثيرٌ منَ الناسِ. فمنِ اتَّقىٰ المُشْبَّهاتِ استَبْرَأَ لدينِه وعِرْضه، ومَنْ وَقَعَ فى الشُّبُهاتِ: كراعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمىٰ يُوشِكُ أنْ يُواقِعَه. ألا وإنَّ لكلِّ مَلك حِمى، ألا إنَّ حِمَى الله فى أرضِه مَحارِمُه. ألا وإنَّ فى الجَسَد مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسدُ كلُّه، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسَدُ كله، ألا وهى القَلْبُ»[(١)].

الشرح:

قسم النبى ﷺ الأمور إلى ثلاثة أقسام: حلال بين، وحرام بين، ومشتبه.

الحلال البين كحل بهيمة الأنعام، والحرام البين كتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير، وكل ما فى القرآن من كلمة ﴿ أَحَل﴾ فهو حلال، ومن كلمة ﴿ حَرَّم﴾ فهو حرام، فقوله تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ ﴾ (البقرة: ٢٧٥) هذا حلال بين، وقوله تعالى: ﴿ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ (البقرة: ٢٧٥) هذا حرام بين.

وهناك أمور مشتبهات تخفى على بعض الناس، وأسباب الخفاء كثيرة، منها ألا يكون النص ثابتًا عند الإنسان فيتردد: هل يصح عن الرسول ﷺ أو لا يصح، ثم إذا صح قد تشبه دلالته: هل يدل على كذا أو لا يدل؟ ثم إذا دل على شىء معين فقد يشتبه: هل له مخصص إن كان عامًّا؟ هل له مقيد إن كان مطلقًا، ثم إذا تبين قد تشبه هل هو باق أو منسوخ... المهم أن أسباب الاشتباه كثيرة، فما هو الطريق إلى حل هذا الاشتباه؟.

الطريق بينه النبى ﷺ، فقال: «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه» من اتقاها يعنى تجنبها إلى الشىء الواضح البين، فقد استبرأ لدينه وعرضه.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٢٠٥١) ومسلم (١٥٩٩) وأبو داود (٣٣٢٩) والنسائى (٨/ ٣٢٧) والدارمى (٢/ ٢٤٥) وأبو نعيم فى الحلية (٤/ ٣٣٦) والبغوى فى شرح السنة (٢٠٣١).

ثم ضرب النبى ﷺ مثلاً لذلك بالراعى الذى يرعى الغنم، أو الإبل، أو البقر: «يرعى حول الحمى» يعنى: حول الحمى الذى حماه أحد من الناس لا يرعى فيه أحد، ومعلوم أنه إذا حمى ازدهر، وكثر عشبه أو كثر زرعه، لأن الناس لا ينتهكونه بالرعى، فالراعى الذى يرعى حول الحمى، يوشك أن يقع فيه، لأن البهائم إذا رأت الخضرة فى هذا المحمى، ورأت العشب، فإنها تنطلق إليها وتحتاج إلى ملاحظة ومراقبة كبيرة.

ولو لاحظ الإنسان وراقب، فإنه قد يغفل، وقد تغلبه هذه البهائم فترتع فى هذا الحمى: «كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه».

ثم قال ﷺ: «ألا وإن لكل ملك حمى» وهذا يحتمل أن الرسول ﷺ قال ذلك إقرارًا له، وإن الملك له أن يحمى مكانًا معينًا فيه العشب لبهائم المسلمين، وهى البهائم التى تكون فى بيت المال، كالإبل الصدقة، وخيل الجهاد وما أشبه ذلك.

وأما الذى يحمى لنفسه فإن ذلك حرام عليه، لا يحل لأحد أن يحمى شيئًا من أرض الله يختص بها دون عباد الله، فإن ذلك حرام عليه، لأن النبى ﷺ قال: «المسلمون شركاء فى ثلاث: فى الماء، والكلأ، والنار»[1].

فالكلأ لا يجوز لأحد أن يحميه، فيضع عليه الشبك، أو يضع عنده جنودًا يمنعون الناس من أن يرعوا فيه، فهو غصب لهذا المكان، وإن لم يكن غصبًا خاصًا، لأنه ليس ملكًا لأحد، لكن منع لشىء يشترك فيه الناس جميعًا، فهذا لا يجوز.

ولهذا قال أهل العلم: يجوز للإمام أن يتخذ حمى مرعًى لدواب المسلمين كخيول الجهاد، وإبل الصدقة، وما أشبه ذلك.

ويحتمل أنه إخبار بالواقع وإن لم يكن إقرارًا له، لأن الرسول ﷺ قد يخبر بالشىء الواقع، أو الذى سيقع من غير إقرار له، أخبر النبى ﷺ أننا سنركب سنن اليهود

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود وصححه الألبانى فى «الإرواء» (١٥٥٢).

والنصارى، فقال: «لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه».

قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»[(١)].

فهذا ليس إقرارًا ولكنه تحذير.

على كل حال فالملك له حمى يحمى، سواء بحق أو بغير حق، فإذا جاء الناس يرعون حول الحمى، حول الأرض المعشبة المخضرة، فإنهم لا يملكون منع البهائم أن ترتع فيها.

ثم قال ﷺ: «ألا وإن حمى الله محارمه» الله عز وجل أحاط الشريعة بسياج محكم، حمى كل شيء محرم يضر الناس فى دينهم ودنياهم، وإذا كان الشيء مما تدعو النفوس إليه شدد السياج حوله.

انظر مثلاً إلى الزنا ــ والعياذ بالله ــ الزنا سببه قوة الشهوة وضعف الإيمان، لكن النفوس تدعو إليه ــ لأنه جبلة وطبيعة ــ فجعل حوله سياجًا بعد الناس عنه، فقال: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ (الإسراء: ٣٢).

لم يقل: ولا تزنوا، بل قال: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾فهذا يشمل كل ذريعة توصل إلى الزنى من النظر واللمس والمحادثة وغير ذلك.

كذلك الربا، حرمه الله عز وجل، ولما كانت النفوس تطلبه لما فيه من الفائدة حرم كل ذريعة إليه، فحرم الحيل على الربا ومنعها.

وهكذا جعل الله عز وجل للمحارم حمى له تمنع الناس من الوقوع فيها.

ثم قال ﷺ: «ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب».

ليست العين، ولا الأنف ولا اللسان، ولا اليد، ولهذا كان الرسول ﷺ يقول: «اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك»[(٢)].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٥٤).

(٢) صحيح: أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٣٠٢) والترمذى (٣٥٢٢) وابن أبى شيبة (١٠/ ٢٠٩) والحاكم (٢/ ٢٨٨) وابن أبى عاصم فى السنة (٢٢٣) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٨٨).

«اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك»[١].

فالإنسان مدار صلاحه وفساده على القلب.

ولهذا عليك أيها المسلم أن تعتنى بصلاح قلبك، فصلاح الظواهر وأعمال الجوارح طيب، ولكن الشأن كل الشأن فى صلاح القلب، يقول الله عن المنافقين: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ (المنافقون: ٤) ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ ﴾ من الهيئة الحسنة، وحسن عمل الجوارح، وإذا قالوا قولاً تسمع له من حسنه وزخرفته، لكن قلوبهم خربة ــ والــعياذ بالله ــ ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ (المنافقون: ٤) ليس فيها خير.

فاعتنِ يا عبد الله بصلاح قلبك، هل فيه شىء من الشر؟ هل فيه شىء من الكراهة لما أنزل؟ هل فيه شىء من كراهة عباده الصالحين؟ هل فيه شىء من الميل إلى الكفار؟ هل فيه شىء من موالاة الكفار؟ هل فيه شىء من الحسد؟ هل فيه شىء من الغل؟ هل فيه شىء من الحق؟ أو غير ذلك من الأمراض العظيمة الكثيرة.

فإذا كان فيه من ذلك فطهر قلبك من هذا وأصلحه، فإن المدار عليه ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾.

(العاديات: ٩ - ١١)

هذا فى يوم القيامة، العمل يكون على الباطن، فى الدنيا العمل على الظاهر، ما لنا إلا ظواهر الناس، لكن فى الآخرة العمل على الباطن، أصلح الله قلوبنا وقلوبكم.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾ (الطارق: ٩) يعنى: تختبر البواطن، فمن كان من المؤمنين ظهر إيمانه، ومن كان من أهل النفاق ظهر نفاقه ــ والعياذ بالله ــ لذلك أصلح قلبك يا أخى، لا تكره شريعة الله، لا تكره عباد الله الصالحين، لا تكره أى شىء مما أنزل الله، فإن كراهتك لشىء مما أنزل الله كفر بالله تعالى، ودليل على عدم إيمانك، ودليل على أن الإيمان لم يتمكن من قلبك.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٥٤).

الحديث الخامس والثلاثون:

(كن فى الدنيا كأنك غريب)

عن ابن عمر رضى الله عنهما[١] قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى فقال: « كن فى الدُنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سَبيل»[٢].

الشرح:

حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال: أخذ النبى ﷺ بمنكبى، وأخذ بمكنبه من أجل أن يستعد لما يلقيه عليه، فينتبه فقال: «كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» يحتمل أن هذا من باب الشك، أى أن الراوى شك، هل قال رسول الله ﷺ الأول أو الثانى.

ويحتمل أنه من باب التنويع، يعنى كن كالغريب الذى يداخل الناس ولا يهتم بهم، ولا يعرف بينهم، أو كأنك عابر سبيل تريد أن تأخذ ما تحتاجه فى سفرك وأنت ماش.

وهذا التمثيل الذى ذكره النبى ﷺ هو الواقع، لأن الإنسان فى هذه الدنيا مسافر، فالدنيا ليست دار مقر، بل هى دار ممر، سريع راكبه لا يفتر ليلاً ولا نهارًا، فالمسافر ربما ينزل منزلاً، فيسترخى، ولكن مسافر الدنيا لا ينزل، هو دائمًا فى سفر، كل لحظة كأنك تقطع بها شوطًا، من هذه الدنيا التقرب من الآخرة، فما ظنكم بسفر لا يفتأ صاحبه، يمشى ويسير، أليس ينتهى بسرعة؟.

بلى، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ (النازعات: ٤٦).

---

(١) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن، ولد فى السنة الثانية من البعثة، وأسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وهاجر مع أبيه وأمه وعمره إحدى عشرة سنة، رده النبى ﷺ يوم أحد لصغر سنه، رحمة به، وإشفاقا عليه، ولم يقبله مجاهدًا فى سبيل الله حتى أتم خمسة عشر عامًا، فحضر غزوة الخندق، ولم يتخلف بعدها عن أى غزوة أو سرية، وهو من الستة المكثرين من رواية الحديث، وهم (أبو هريرة، ثم ابن عمر، ثم أنس، وابن عباس، وجابر وعائشة، روى له (١٦٣٠) حديث، توفى سنة (٧٣هـ) انظر ترجمته «الإصابة» (٢/ ٢٤٧) «أسد الغابة» (٣/ ٢٢٧) «حلية الأولياء» (١/ ٢٩٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٠٣) «البداية والنهاية» (٩/ ٤) «صفة الصفوة» (١/ ١٨١) «نزهة المتقين» (٢/ ١٣١٥).

(٢) **صحيح:** أخرجه البخارى (٦٤١٦) والترمذى (٢٣٣٣) والنسائى (٧/ ٤٨١) وابن ماجه (٤١١٤) وأحمد (٢/ ٢٤) والطبرانى (١٣٤٧٠).

والإنسان عليه أن يقيس ما يستقبل من عمره بما مضى، فالذى مضى كأنه لا شيء، حتى أمسك الأدنى، كأنك لم تمر به أو كأنه حلم، وكذلك فما يستقبل من دنياك، فهو كالذى تقدم، ولهذا لا ينبغى الركون إلا الدنيا ولا الرضى بها، وكأن الإنسان مخلد فيها.

ولذلك كان ابن عمر رضى الله عنهما يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصحبت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك».

المعنى: لا تؤمل أنك إذا أصبحت أمسيت، وإذا أمسيت أصبحت، فكم من إنسان أمسى، ولم يصبح، وكم من إنسان لبس ثوبه، ولم يخلعه إلا الغاسل!.

وكم من إنسان خرج من أهله فد هيأوا له غذاءه أو عشاءه ولم يأكله! وكم من إنسان نام ولم يقم من فراشه!.

المهم أن الإنسان لا ينبغى له أن يطيل الأمل، بل يكون حذرًا خائفًا حازمًا كيسًا.

هذا معنى قوله: «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح».

وكان ابنُ عمرَ يقول: «إذا أمسيتَ فلا تنتَظِر الصباح، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء. وخُذْ من صحتِكَ لمرضِك، ومن حَياتِك لموتك»[1].

فابن عمر رضى الله عنهما يقول: «خذ من صحتك لمرضك» المرض تضيق به النفس ويتعب به الجسم، وتضيق عليه الدنيا ولا يستطيع أن يعمل العمل الذى يعمله فى حال الصحة، فليأخذ من صحته لمرضه، ومن حياته لموته، قس ما بين حياتك وموتك أيهما أطول؟ لا شك أن الحياة لا تنسب للموت، كم للرسول ﷺ ميتًا؟ كم لمن قبله؟ وحياتهم قليلة بالنسبة لموتهم، فكيف إلى الآخرة؟.

---

(١) صحيح: أخرجه أبو نعيم (٦/ ١١٥) فى الحلية، وابن عساكر فى تاريخ دمشق (١٩/ ١٥٣/ ٢) وهذا القدر الموقوف من كلام ابن عمر منتزع من حديث ابن عباس عند الحاكم (٤/ ٣٠٦) أن النبى ﷺ قال لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك».

وصححه الحاكم، ووافقه الذهبى، والأرناءوط فى تعليقه على الإحسان (٢/ ٤٠٨).

ولهذا ينبغى للإنسان أن يأخذ من حياته ــ ما دام الله قد أحياه ــ لموته إذا عجز عن العمل، لأن النبى ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[١] فخذ من حياتك لموتك.

الحديث السادس والثلاثون:

(شر الرعاة الحطمة)

عن عائذ بن عمرو[٢] ﷺ أنه دخل على عبد الله بن زياد[٣]، فقال له: أى بنى، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول:

عَائِذَ ابْنَ عَمْرٍو وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، دَخَلَ عَلَىٰ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ، فَقَالَ: أَى بُنَى إِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: «إِن شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»[٤].

الشرح:

قول النبى ﷺ: «إن شر الرعاة الحطمة» الرعاء: جمع راع، والحطمة: الذى يحطم الناس ويشق عليهم ويؤذيهم، فهذا شر الرعاء، فإذا كان هذا شر الرعاء، فإن خير الرعاء اللين السهل، الذى يصل إلى مقصوده بدون عنف.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٦٣١) وأبو داود (٢٨٨٠) والترمذى (١٣٧٦) والنسائى (٦/ ٢٥١) والطحاوى فى «مشكل الآثار» (١/ ٨٥) والبيهقى (٦/ ٢٧٨) والإمام أحمد (٢/ ٣٧٢).

(٢) هو عائذ بن عمرو المزنى أبو هبيرة، صحابى، كان ممن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة يوم الحديبية، وكان من صالحى الصحابة، سكن البصرة وابتنى بها دارًا، توفى فى إمارة عبيد الله بن زياد، انظر ترجمته فى «الإصابة» (٤٤٦٦) «الاستيعاب» (١٣٥٦).

(٣) وعبد الله بن زياد بن أبيه، وال فاتح من الشجعان، ولد بالبصرة، وكان مع والده زياد لما مات بالعراق، فقصد الشام، فولاه معاوية خراسان سنة (٥٣هــ) وأقام بخراسان سنتين، ونقله معاوية إلى البصرة أميرًا عليها سنة (٦٠هــ) قتله ابن الأشتر سنة (٦٧هــ) وذلك فى خازر من أرض الموصل.
انظر ترجمته فى «المنتظم» (٦/ ٦٧) والبدايه والنهاية» (٨/ ٣٠٥).

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٣٠) وأحمد (٥/ ٦٤) وأبو عوانة (٤/ ٤٢٤) وابن حبان (٧/ ٢٢) والبيهقى (٨/ ١٦١) والرويانى (٢/ ٢٥٣) والطبرانى (١٨/ ١٧) والدولابى فى الكنى (١/ ٩٣).
جمع راع.
الحطمة: هو العنيف برعاية الإبل فى السوق والإيراد والإصدار، ويلقى بعضها على بعض، ويعسفها، ضربه مثلاً لوالى السوء، كما فى النهاية لابن الأثير.

فيستفاد من هذا الحديث فائدتان:

الفائدة الأول: أنه لا يجوز للإنسان الذى ولاه الله على أمر من أمور المسلمين أن يكون عنيفًا عليهم، بل يكون رفيقًا بهم.

الفائدة الثانية: وجوب الرفق بمن ولاه الله عليهم، بحيث يرفق بهم فى قضاء حوائجهم وغير ذلك، مع كونه يستعمل الحازم والقوة والنشاط، يعنى لا يكون لينًا مع ضعف، ولكن لينًا بحزم وقوة ونشاط.

الحديث السابع والثلاثون:

(الدنيا أهون على الله من هذا الجدى)

عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ مر بالسوق والناس كنفيته، فمر بجدى أسك ميت، فتناوله، فأخذ بأذنه، ثُمَّ قَالَ:

«أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَىء. وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْباً فِيهِ، لأَنَّهُ أَسَكُّ. فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: «فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»[1].

الشرح:

حديث جابر أن النبى ﷺ مر فى السوق بجدى أسك، والجدى من صغار الماعز، وهو أسك: مقطوع الأذنين، فأخذه النبى ﷺ ورفعه وقال: «أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم؟» قالوا: يا رسول الله، ما نحب أنه لنا بشىء، وما نصنع به.

ثم قال ﷺ: «أتحبون أنه لكم؟» فقالوا: والله لو كان حيًا كان عيبًا أنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: «فوالله إن الدنيا أهون على الله تعالى من هذا عليكم» فهذا جدى ميت لا يساوى شيئًا، ومع ذلك فالدنيا أهون وأحقر عند الله تعالى من هذا الجدى الأسك الميت، فهى ليست بشىء.

ومع ذلك فإن من عمل فيها عملاً صالحًا صارت مزرعة له فى الآخرة، ونال السعادتين: سعادة الدنيا، وسعادة الآخرة.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٥٧).

أما من غفل وتغافل وتهاون ومضت الأيام عليه، وهو لم يعمل، فإنه يخسر الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (الزمر: ١٥).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ (سورة العصر) وكل بنى آدم خاسر إلا هؤلاء الذين جمعوا هذه الأوصاف الأربعة: آمنوا وعملوا الصالحات، وتوصوا بالحق، وتواصوا بالصبر، جعلنا الله والمسلمين منهم.

الحديث الثامن والثلاثون:

(لله أشد فرحًا بتوبة عبده)

عن جابر عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ ، قَالَ:

دَخَلْتُ عَلَىٰ عَبْدِ الله(١) أَعُودُهُ وَهُوَ مَرِيضٌ. فَحَدَّثَنَا بِحَدِيثَيْنِ: حَدِيثاً عَنْ نَفْسِه(٢) وَحَدِيثاً عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله يَقُولُ: «لله أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِى أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ(٣) مُهْلِكَةٍ. مَعَهُ رَاحِلَتُهُ. عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ. فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ. فَطَلَبَهَا حَتَّىٰ أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ. ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَىٰ مَكَانِى الَّذِى كُنْتُ فِيهِ. فَأَنَامُ حَتَّىٰ أَمُوتَ. فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَىٰ سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ. فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ. فَالله أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هٰذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ» (٤).

الشرح:

قال رسول الله ﷺ: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده إذا تاب إليه من هذا الرجل الذى سقط عن راحلته بعد أن أضلها...» القصة.

---

(١) هو عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٢) لم يذكر حديث عبد الله عن نفسه، وقد ذكره البخارى فى صحيحه (٦٣٠٨) وهو قوله: «المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه، فقال به هكذا».

(٣) الدوية: هى القفر والمفازة.

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٣٨٣) والبخارى (٦٣٠٨) ومسلم (٢٧٤٤) والترمذى (٢٥٠٠).

رجل كان بأرض فلاة ليس حوله أحد لا ماء ولا طعام ولا أناس.

ضل بعيره: أى ضاع فجعل يطلبه فلم يجده، فذهب إلى شجرة ونام تحتها ينتظر الموت! قد أيس من بعيره وأيس من حياته، لأن طعامه وشرابه على بعير والبعير قد ضاع.

فبينما هو كذلك إذ بناقته عنده قد تعلق خطامها بالشجرة التى هو نائم تحتها، فبأى شيء تقدرون هذا الفرح؟!.

هذا الفرح لا يمكن أن يتصوره أحد إلا من وقع فى مثل هذه الحال!! لأنه فرح عظيم، فرح بالحياة بعد الموت! ولهذا أخذ بالحطام فقال: «اللهم أنت عبدى وأنا ربك»[1]!!.

أراد أن يثنى على الله فيقول: «اللهم أنت ربى وأنا عبدك» لكن من شدة فرحه أخطأ فقلب القضية.

ففى هذا الحديث:

دليل على فرح الله عز وجل بالتوبة من عبده إذا تاب إليه، وأنه يحب ذلك سبحانه وتعالى محبة عظيم، ولكن لا لأجل حاجته إلى أعمالنا وتوبتنا، فالله غنى عنا لمحبته سبحانه للكرم، فإنه يحب أن يعفو وأن يغفر أحب إليه من أن ينتقم ويؤاخذ، ولهذا يفرح بتوبة الإنسان.

وفيه: حث على التوبة، لأنه الله يحبها وهى من مصلحة العبد.

وفيه: إثبات الفرح لله عزوجل، فهو سبحانه وتعالى يفرح ويغضب ويكره ويحب، لكن هذه الصفات ليست كصفاتنا، لأن الله يقول: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشورى: ١١) بل هو فرح يليق بعظمته وجلاله، ولا يشبهه فرح المخلوقين، ولا يشبه فرح المخلوقين.

وفيه دليل على أن الإنسان إذا أخطأ فى قول من الأقوال، ولو كان كفرًا سبق لسانه إليه، فإنه لا يؤاخذ به! فهذا الرجل قال كلمة كفر، لأن قول الإنسان لربه أنت عبدى وأنا ربك هذا كفر لا شك فيه.

---

(١) هذا لفظ مسلم (٢٧٤٧).

لمن لما كان هذا صدر عنه خطأ من شدة الفرح صار غير مؤاخذ به، وكذلك غيرها من الكلمات لو سب أحدًا على وجه الخطأ بدون قصد، أو طلق زوجته على وجه الخطأ دون القصد، أو أعتق على وجه بدون قصد، فكل هذا لا يترتب عليه شيء، لأن الإنسان لم يقصده، فهو كاللغو في اليمين، وقد قال الله تعالى: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ (البقرة: ٢٢٥).

هذا بخلاف المستهزئ، فإنه يكفر إذا قال كلمة الكفر، لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ﴾ (التوبة: ٦٥، ٦٦).

فالمستهزئ قصد الكلام وقصد معناه، لكن على سبيل السخرية والهزء فلذلك كان كافرًا بخلاف الإنسان الذي لم يقصد فإنه لا يعتبر قوله شيئًا، وهذا من رحمة الله عز وجل، والله الموفق.

الحديث التاسع والثلاثون:

(اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«اسمعوا وأطيعوا وإنِ استعملَ عليكم عبدٌ حبشي، كأنَّ رأسه زَبيبة»[1].

الشرح:

قوله: «اسمعوا وأطيعوا» يعني: الزموا السمع والطاعة لولاة الأمور، حتى لو استعمل عليكم عبد حبشي.

والنبي ﷺ هنا يخاطب العرب يقول: ولو استعمل عليكم عبد حبشي غير عربي، عبد أصلاً وفرعًا وخلعه كأن رأسه زبيبة، لأن شعر الحبشة غير شعر العرب، فالحبشة يكون في رءوسهم حلق كأنها الزبيب، هذا في باب المبالغة في كون هذا العامل عبدًا حبشيًّا أصلاً وفرعًا، وهذا يشمل قوله: «وإن استعمل» فيشمل الأمير الذي هو أمير السلطان، وكذلك السلطان.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧١٤٢).

فلو فرض أن السلطان غلب الناس واستولى وسيطر، وليس من العرب، بل كان عبدًا حبشيًّا، فعلينا أن نسمع ونطيع، لأن العلة واحدة، وهى أنه إن لم نسمع ونطع حصلت الفوضى، وزال النظام، وزال الأمن، وحل الخوف، فالمهم أن علينا أن نسمع ونطيع لولاة الأمور، إلا إذا أمر بمعصية.

الحديث الأربعون:

(الساعى على الأرملة كالمجاهد فى سبيل الله)

عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال:

«السَّاعِى عَلَىٰ الأَرْمَلَةِ وَالْمِسكِين، كَالْمُجَاهد فِى سَبِيلِ الله».

وَأَحْسِبُهُ قَالَ: «وَكَالْقَائِمِ لاَ يَفْتُرُ وَكَالصَّائِمِ لاَ يُفْطِرُ»[1].

الشرح:

قول رسول الله ﷺ: «الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله».

وأحسبه قال: «وكالقائم الذى لا يفتر، وكالصائم لا يفطر» والساعى عليهم هو الذى يقوم بمصالحهم ومئونتهم وما يلزمهم.

والأرامل هم الذين لا عائل لهم سواء كانوا ذكورًا أو إناثًا، والمساكين هم الفقراء، ومن هذا قيام الإنسان على عائلته، وسعيه عليهم، على العائلة الذين لا يكتسبون، فإن الساعى عليهم، والقائم بمئونتهم ساعٍ على أرملة ومساكين، فيكون مستحقًّا لهذا الوعدً ويكون كالمجاهد فى سبيل الله، أو كالقائم الذى لا يفتر وكالصائم الذى لا يفطر.

وفى هذا دليل على جهل أولئك القوم الذين يذهبون يمينًا وشمالاً ويدعون عوائلهم فى بيوتهم مع النساء، ولا يكون لهم عائل فيضيعون، لأنهم يحتاجون إلى الإنفاق ويحتاجون إلى الرعاية وإلى غير ذلك، وتجدهم يذهبون يتجولون فى القرى، وربما فى المدن أيضًا، بدون أن يكون هناك ضرورة، ولكن شىء فى نفوسهم، يظنون أن هذا أفضل من البقاء فى أهليهم بتأديبهم وتربيتهم، وهذا ظن خطأ، فإن بقاءهم فى أهلهم، وتوجيه أولادهم من ذكور وإناث، وزوجاتهم، ومن يتعلق بهم أفضل من كونهم

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٨٢).

يخرجون يزعمون أنهم يرشدون الناس وهم يتركون عوائلهم الذين هم أحق من غيرهم بنصيحتهم وإرشادهم، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾.

(الشعراء: ٢١٤)

فبدأ بعشيرته الأقربين قبل كل أحد.

أما الذى يذهب إلى الدعوة إلى الله يومًا أو يومين أو ما أشبه ذلك، وهو عائد إلى أهله عن قرب، فهذا لا يضره، وهو على خير، لكن كلامنا فى قوم يذهبون أربعة أشهر أو سنة عن عوائلهم يتركونهم للأهواء والرياح تعصف بهم، فهؤلاء لا شك أن هذا من قصور فقهم فى دين الله عز وجل.

وقد قال النبى ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين»(١).

فالفقيه فى الدين هو الذى يعرف الأمور ويحسب لها، ويعرف كيف تؤتى البيوت من أبوابها، حتى يقوم بما يجب عليه.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (١/ ١٦٤) ومسلم (١٣/ ١٧) والترمذى (١٠/ ١١٤).
قال ابن الأثير: الفقه: الفهم والدراية والعلم فى الأصل، وقد جعله العرف خاصًا بعلم الشريعة.